وزارة التعليـم العـالي والبحـث العلـمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

تاريخ بلاد المغرب القديم من خلال كتابات المؤرخين المغاربة المحدثين
(دراسة تاريخية نقدية)

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة

إعداد الطالبتين:
- ✓ حكيمة شيحي
- ✓ سميرة عطية

الأستاذ المشرف:
أ/ عمر بوصبيع

لجنة المناقشة

الرقم	الأستاذ	الصفة	الجامعة
01	د / محمد رشدي جراية	رئيسا	جامعة حمه لخضر ـ الوادي
02	أ/ عمر بوصبيع	مشرفا ومقررا	جامعة حمه لخضرـ الوادي
03	أ / عبد الحق بالنور	عضوا مناقشا	جامعة حمه لخضرـ الوادي

السنة الجامعية: 1438 - 1439 هـ/ 2017- 2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المختصرات :

ق . م : قبل الميلاد

م : ميلادي

ط : الطبعة

تر : ترجمة

ب . س : بدون سنة نشر

ص : صفحة

ج : الجزء

م : المجلد

ب . ب : بدون بلد

مقدمة

مقدمة :

تعتبر عملية البحث و النقد في تاريخ بلاد المغرب القديم ، من أهم المواضيع التاريخية لكونها تتطلب من الباحث التدقيق و الاستدلال و الاعتماد على المصادر بمختلف أنواعها ، كما يتطلب النقد بذكر أوجه الشبه و الاختلاف في عملية التدوين لكون المعلومة تختلف من مصدر أو مرجع إلى آخر وتجدر الإشارة إلى اختلاف تدوين تاريخ بلاد المغرب بين القدماء و المحدثين وحتى بين الأوربيين و العرب , وهذا راجع لطول الفترة الزمنية التي مر بها بلاد المغرب القديم بداية بفترة ما قبل التاريخ وما عرفته من قيام الحضارة الأشولية والموستيرية و العاترية وغيرها . لكن تبقى مشكلة الحديث عن البدايات الأولى للبشر في هذه المنطقة محل تضارب للآراء ثم تلتها المرحلة الثانية ، بداية بالحضارة القرطاجية في الوقت الذي حكم فيه الموريون أقصى غرب بلاد المغرب و النوميدون في الوسط و الشرق في حين سيطر الجيتول على الصحراء ومنذ بداية القرن 5 ق.م ظهرت بوادر الصراع القرطاجي الروماني و خاصة في القرن 3 ق.م الذي انتهى بتدمير قرطاجة سنة 146 ق.م ، وألحقت روما مملكة نوميديا لتدخل بلاد المغرب المرحلة الثالثة الممتدة من (146ق.م – 429 م) لينتهي وجودهم بمقاومة لهم بعد خوض العديد من المعارك مثل ثورة يوغرطة ، وفي الوقت الذي كان فيه الوندال متجها لغزو هذه المنطقة بحجة وصولهم إلى روما عبر بلاد المغرب و بذلك ليعرف هذا الأخير الغزو الوندالي (429 م – 534 م) ، لتتعرض بعدها للاحتلال البيزنطي (534 م – 647 م).
و نظرا لطول الفترة المدروسة جعلت أراء المؤرخين تختلف خاصة في الفترة مابين القرنيين (9 ق.م و 2 ق.م) التي عرفت شح في كتابة تاريخ هذه المنطقة لتعرف غزارة في نهاية القرن 2 ق. م نتيجة اهتمام الرومان والإغريق مثل : استرابون و هيرودوت ، هذا بالإضافة إلى المؤرخين الأوربيين أمثال ، كامبس و سيتفان غزال و فرنسوا دوكرييه وغيرهم الذين كتبوا تاريخها بتحيز وحسب نظرتهم لها، أما المؤرخين المغاربة و كتاباتهم ظهرت متأخرة مقارنة مع الأوربيين . هذا ما جعلنا نقوم بدراسة تاريخية نقدية لبلاد المغرب القديم من خلال كتابات المغاربة المحدثين خلال الفترة الممتدة مابين القرن 9 ق.م و القرن 7م .
انطلاقا مما سبق تشكلت في أذهاننا جملة من الإشكاليۃ وكانت في مقدمتها الإشكالية الرئيسية : كيف كانت كتابات المؤرخين المغاربة المحدثين لتاريخ بلاد المغرب القديم من القرن 9 ق.م إلى القرن7م ؟ .

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية المتمثلة فيما يلي :

ما هي المعلومات المقدمة من طرف المؤرخين المغاربة المحدثين خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين (9 ق.م – 2 ق.م) ؟ وكيف تناول المؤرخون الاحتلال الأجنبي لبلاد المغرب القديم و المتمثل في الاحتلال الروماني ، الوندالي و البيزنطي؟ ما هو أثره على المنطقة حضاريا؟ و للإجابة على التساؤلات اتبعنا خطة تغطي جل تفاصيل تاريخ المنطقة خلال الفترة الممتدة من القرن 9 ق.م إلى القرن 7م، فقسمنا الخطة إلى مقدمة و فصل تمهيدي و ثلاثة فصول وخاتمة فتقدمنا في البداية بفصل تمهيدي تناولنا فيه الدراسة الطبيعية و الجغرافية لبلاد المغرب القديم.

أما الفصل الأول بعنوان بلاد المغرب من القرن 9 ق.م إلى القرن 2 ق. م وقد تطرقنا في المبحث الأساسي الأول إلى مملكة قرطاجة من التأسيس إلى السقوط ، ثم المبحث الأساسي الثاني الذي تضمن الممالك الوطنية المتمثلة في نوميديا و موريطانيا دراسة حضارية .

والفصل الثاني والذي جاء بعنوان بلاد المغرب من بداية الاحتلال الروماني إلى ظهور الوندال والذي انقسم بدوره إلى مبحثين أساسين ، الأول مقاطعة إفريقيا الرومانية (نوميديا وموريطانيا)، والثاني بلاد المغرب تحت الحكم الروماني .

و في الفصل الثالث و الأخير تناولنا الوندال و البيزنطيين في بلاد المغرب و تفرع عنه مبحثين الأول وفيه الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب الثاني بلاد المغرب تحت الحكم البيزنطي .

وجاءت خاتمة البحث كخلاصة لأهم ما تمكنا من عرضه في هذا العمل المتواضع وكإجابة على ما ورد من تساؤلات .

كما يدعم البحث مجموعة من الملاحق رأينا أنها خادمة لموضوعنا ووظيفية احتوت خرائط خاصة وصور تمثيلية لبلاد المغرب ، وملاحق أخرى تجسد بعض المعارك المهمة التي شهدتها المنطقة . ثم أتبعنا ذلك بجرد المصادر والمراجع المرتبة حسب طبيعتها وفي الأخير أوردنا فهرس لمحتوى الموضوع مفصل مع ذكر الصفحات .

أهمية الموضوع :

إن المكانة التي حضي بها تاريخ بلاد المغرب القديم عند المؤرخين المغاربة المحدثين جعل من هذه الكتابات مصدرا لمعرفة تاريخ المنطقة ، بما في ذلك المظاهر الحضارية و الاحتلال الأجنبي الذي تعرضت له . و إننا سنحاول عن طريق كتابات المغاربة المحدثين إلقاء الضوء على المحطات التاريخية البارزة في تاريخ بلاد المغرب القديم .

دواعي اختيار الموضوع :

إن توجهنا إلى دراسة حيثيات هذا الموضوع منبثق من رغبتنا الشخصية للغوص في ثنايا تاريخ بلاد المغرب القديم من خلال كتابات المؤرخين المغاربة المحدثين ومحبتنا في أن نكون رائدين من رواد التاريخ القديم، كذلك رغبتنا في إضافة دراسة جديدة للموضوع .

أهداف الموضوع :

مما لا شك فيه إن انجازنا لهذا العمل ومعرفة تاريخ بلاد المغرب القديم من خلال كتابات المؤرخين المغاربة المحدثين من شانه أن يوجه الباحثين في ميدان التاريخ القديم، مما يفتح أمامهم تصورات وبناء أفكار مثل التي حاولنا رسمها في موضوعنا .

الإطار الزماني و المكاني :

ولقد حصرنا الإطار الزماني للموضوع في الفترة الممتدة مابين القرن (9 ق. م – 7م) وحسب المؤرخين والباحثين فلأن بداية الكتابات التاريخية المتعلقة بمنطقة المغرب القديم تعود إلى وصول الفينيقيين إلى هذه المنطقة بتأسيس قرطاجة سنة 814 ق . م وصولا إلى نهاية الاحتلال البيزنطي سنة 647 م. أما الإطار المكاني للموضوع ينحصر في منطقة بلاد المغرب القديم .

المنهج المتبع :

بما أننا تطرقنا في موضوعنا هذا إلى تاريخ بلاد المغرب بجميع الجوانب لذا اعتمدنا على المنهج التاريخي السردي والمقارن النقدي، محاولين الإلمام بالموضوع فالتاريخي والسردي وظفناهما بكثرة في تتبع الأحداث التاريخية وكل ما يحيط بجوانب الكتابة التاريخية لبلاد

المغرب القديم، أما المقارنة فقد تم أدراجها عند الوقوف بين سطور المصادر والمراجع التاريخية المختلفة في إعطاء المعلومات حول الموضوع وترجيح أقربها ثم نقدها .

المصادر و المراجع :

ولتحرير هذا العمل تتبعنا مادة البحث في مقدمتها المصادر اليونانية مثل : هيرودوت (تاريخ هيرودوت) تر: عبد الإله الملاح، و الرومانية استرابون في كتابه (الجغرافيا) تر : محمد مبروك الدويب والعديد من المراجع أهمها : محمد الهادي حارش (التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، محمد الصغير غانم (معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر) والجدير بالذكر عدم توفر المادة العلمية في مجال تاريخ بلاد المغرب القديم.

صعوبات الموضوع :

من المؤكد أن لكل موضوع صعوبات وعقبات نذكر منها:طول الفترة الزمنية المدروسة و تداخل الأحداث وكتابة المؤرخين تاريخ هذه المنطقة في المصادر الإغريقية والرومانية بتحيز.

وفي الأخير نحمد الله عز وجل على تيسيره لنا في إخراج هذا العمل بهذه الصورة أميلينا في أن ننتفع بما استفدنا وننفع بما اكتسبنا من قدرات وأفكار أثناء هذه التجربة، كما نتمنى أن نكون قد توصلنا على الأقل إلى الالتزام فيه بمعايير المنهجية والجدية العلمية والإحاطة بجوانبه الأساسية ونتمنى أن نكون قد ساهمنا في تذليل بعض الصعوبات ، مع جزيل الشكر للأستاذ المشرف " عمر بوصبيع ".

الفصل التمهيدي :

دراسة طبيعية و بشرية لبلاد المغرب القديم

المبحث الأول : دراسة طبيعية

المبحث الثاني : دراسة بشرية

I. الدراسة الطبيعية

1 – الموقع

اختلفت وتعددت تسميات التي أطلقت على بلاد المغرب القديم أو تحديدا على شمال غرب إفريقيا، وذلك بحسب الفترات التاريخية وكذا الشعوب التي استقرت بالمنطقة سواء الأصلية منها أو الوافدة إليها من العالم الخارجي. فكان التصور الجغرافي للمنطقة القديمة من أصعب الأمور ، ذلك أن الأقاليم تحدد بجنس سكانها بحيث أن الحضارة كانت تعيش جنبا إلى جنبا مع الحياة البدائية وقد كان للتضاريس أثر على ذلك [1]. ومن بين هذه التسميات التي أطلقت على منطقة بلاد المغرب ونجد ما يلي :

بلاد الغرب : أقدم ما ورد في النقوش المصرية والتي تدل على منطقة الغرب هي كلمة أمنت " imnt " وتم العثور عليها في رسم ريشة النعام كميزة تقليدية لازمت رأس الليبي في التاريخ الفرعوني [2] . وقد خلدت الآثار المصرية هؤلاء الغربيين قبل ظهور الكتابة الهيروغليفية ، وهذا ما جسدته اللوحة المصرية التي تحمل اسم الصليات التي تتضمن رموزا و أشكالا تصويرية تعبر عن مدى الاتصال بينهم وبين جيرانهم الغربيين ومع ظهور العلامات الكتابية الأولى نلاحظ أن النصوص المصرية تشير إلى أسماء هؤلاء الجيران ، ولعل أشهرهم قبيلتي: **تحنو** ، **تمحو**[3].

أ – ذكرت قبيلة **تحنو** أو **تحني** في النقوش المصرية منذ فجر التاريخ المصري ، وترجع أقدم إشارة إليهم إلى عصر الملك العقرب الذي حكم مصر قبيل الوحدة ، في لوحة إردوازية بحيث وجد على أحد وجوهها أربعة صفوف ، في الصف العلوي رسم ثيران وفي الثاني حمير ،

---

[1] ستيفان قزال ، تاريخ شمال إفريقيا القديم ، ج 1 ، (ب، ط) ، تر : محمد التازي سعود ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، 2007 ، ص ص 45– 46 .

[2] إبراهيم زرقانة الحضارة المصرية في فجر التاريخ ، (ب ، ط) دار المعارف ، القاهرة ،1948، ص 152 .

[3] ألن جاردز ، مصر الفراعنة ، ط 2 ، تر: نجيب مخائيل ، مر: عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987 ، ص 427 .

الثالث أغنام أما الرابع أشجار زيتون و إلى جانب الأشجار من الناحية اليمنى نجد علامة تصويرية تذكر التحنو[1] (انظر : الشكل 1) .

ب – أما قبيلة تمحو فقد ورد ذكرهم في عهد ثالث ملوك الأسرة السادسة(بيبي الأول) في النص الذي تركه **أوني**[2] على الشكل التالي " من بلاد التمحو "وفي عهد الدولة الوسطى نجد ذكر **نحسيو** و **التمحو** [3] و اتفقت الآراء أنهم ذوو البشرة البيضاء والشعر الأشقر ويذكر السعدي في مذكرته نقلا عن Holscher و Moller أنهم الأجداد الأوائل لأحفادهم المنتشرين حاليا في شمال إفريقيا والمعروفون بالبربر الذين تتمثل فيهم الثقافة الليبية الأصيلة [4].

ليبيا : يرجع أول استخدام لكلمة " لوبة " إلى المصادر المصرية والتي تعود إلى النصف الثاني من الألفية الثانية قبل الميلاد ، وذلك على نقش يرجع إلى عهد رمسيس الثاني (1298 – 1222 ق . م) بصيغة **R. B. W**. وفي عهد مرنتباح (1224 – 1194 ق.م) قصد تحديد السكان القاطنين إلى الغرب من نهر النيل ، كما ورد اسم الليبيين في التوراة باسم ليهابيم **lehabin** أو لوبيم **Loubim** حيث ورد في سفر الوقائع أن الليبيين حاربوا ضمن جيوش الفراعنة ضد الملك " رحبعام " . كما ذكر هيرودوت ليبيا " أولوبا " على أنها القارة الثالثة من قارات العالم بحيث أن البحر يحدها من الجانبين ، عدا ما اتصل منها بآسيا حاليا [5] . كما أشار إلى أن معظم الإغريق يعتبرون أن ليبيا اكتسبت اسمها من امرأة من أهل البلاد [6] . كما تحدث فرجيل في إلياذته على أنها تعتبر "أرض ليبية" بمعنى شمال إفريقيا.[7]

---

[1] ألن جاردز ، مصر الفراعنة ، المرجع السابق، ص45.

[2] يتضح أنه من خلال نقوش لوحة " أوني "التي عثر عنها في أبيدوس أنه بدأ حياته كموظف صغير في عهد (بيبي الأول) في الوظائف الكهنوتية ، انظر : سليمان بن سعدي ، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد ، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ القديم ، جامعة منتوري، قسنطينة ، الجزائر ، 2008/ 2009 ، ص 41 .

[3] محمد بيومي مهران ، مصر والشرق الأدنى القديم ،(ب ،ط) ، م 4 ، ج1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989 ،ص ص287 – 298 .

[4] سليمان بن سعدي ، المرجع السابق ، ص ص 48 –46 .

[5] هيرودوت ، تاريخ هيرودوت ، ط 1 ، تر : عبد الإله ملاح ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية ، 2001 ، ص 307 .

[6] نفسه ، ص 310 .

[7] فرجيل ، الإلياذة ، تر : عميرة سلام خالدي ، دار الملايين ، بيروت ، 1995 ، ص 98 .

كما ذكر الدكتور محمد الهادي حارش أنه تم العثور على نصب بونية [1] في معبد صلامبو [2] ومعبد الحفرة بقسنطينة (سيرتا) [3] حملت مصطلحي (**L . B . T / L. B .Y**) كما تمكن فيفري من دراسة النقيشة التالية تحت اسم (**BSDLBYB**)التي تترجم (في بلاد الليبيين)[4] .

إفريقيا : ذكر المؤرخ محمد الهادي حارش هذا المصطلح بأنه حديث نسبياً واعتمد في ذلك على الشواهد الكتابية التي لا تتجاوز أواخر القرن الثالث ق.م إفريقيا الجديدة [5] ، كما لقب سيكبيو Scipion بالإفريقي Africanus[6] . وطبقت الصفة " أفريكانوس " على النباتات ذات الأصل الإفريقي ففي مؤلف **كاتون Katon** [7] ذكر التين الإفريقي ، ثم اتسع مدلول الكلمة تدريجيا ليشمل كل الشمال الإفريقي من طرابلس إلى المحيط الأطلسي. كما نجد أيضا الجذع Ifri وتعني الكهف وأفر Afer تعني سكان الكهوف و أفرو Ifro الإله المحلي، كما ورد أيضا عند محمد الهادي حارش كلمة Frigi أو pharikia وتعني بلاد الفواكه و Aprica التي تعني المناخ الحار [8] ، وفيه ما يدرج قصة البطل الأسطوري (أفريقش) التي أخذت هذه المنطقة

---

[1] النصب البونية : عرفها الباحث الأثري الفرنسي لوغلي على أنها لوحات صخرية يكون بداخلها عدة مشاهد أو حتى مشهد تصويري . انظر: فاطمة الزهراء بلعيد ، دراسة تنميطية و ايكونوغرافية للأنصاب البونية المحفوظة بمتحف المسرح الروماني بقالمة ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الآثار ، جامعة قالمة ، الجزائر ، 2011 / 2012 ، ص 10 .

[2] معبد صالمبو : تم اكتشاف المعبد سنة 1922 ، لمزيد من التفاصيل ، انظر محمد الصغير غانم ، النصب القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا (ب ، ط) ، دار الهدى للطباعة و النشر،عين مليلة ، الجزائر ، 2012 ، ص385 .

[3] معبد الحفرة : يقع في الجنوب الغربي لمدينة سيرتا ، وأكتشف هذا المعبد خلال القرنين التاسع عشر والعشرين لمزيد من المعلومات انظر : فتيحة فرحاتي ، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 / 46 ق.م ، منشورات أبيك ، الجزائر ، 2007 ، ص 9 .

[4] محمد الهادي حارش التاريخ المغاربي القديم ، السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي (ب ،ط) ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ،1994 ، ص ص 22 – 23 .

[5] نفسه ، ص 24 .

[6] للإطلاع أكثر انظر : شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ،(د . ط) ، تر : محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1969 ، ص 104 .

[7] كاتون (234– 149 ق . م) من خطباء ورجال الدولة في روما دعا إلى التقشف و القضاء على قرطاج ، كان ينهي خطبته بعبارته الشهيرة (لتدمر قرطاج) ، انظر: عبد المنعم محجوب ، معجم تانيت ، (ب ، ط) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، (ب ، س) ، ص 197 .

[8] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص 24 .

اسمه [1]. وقد قدم محمد فنطر ملخص لمعنى هذا المصطلح (Afer) بجذر ليبي اشتقت منه مختلف الكلمات وهو بالتالي يرجع الأصول المحلية للتسمية والتي أطلقت من طرف الرومان كما أطلقت أيضا على الأراضي القرطاجية التي احتلوها سنة 146ق.م والتي انتشرت في كامل منطقة شمال إفريقيا وأطلقه الإغريق على كل القارة[2].

البربر: أطلق العرب مصطلح البربر على سكان شمال إفريقيا الأصليين وخاصة أولئك الذين لم يندمجوا في الحضارة الرومانية [3]. ويذكرهم ابن خلدون نسبة إلى جدهم الأول "أفريقش" الذي قال عنهم عندما سمعهم يتحدثون " ما أكثر بربرتكم " بمعنى كثرة الأصوات الغير مفهومة فسموا بربر. كما أطلق الرومان والإغريق هذه اللفظة على الأهالي الخارجين عن حضارتهم و المتمسكين بأصالتهم و نعتوهم بالهمج Barbari ، وقد أشار شارل أندري جوليان أن هذا اللفظ مناسب لبلاد المغرب لأن أغلبهم برابرة لكن أهلها يفضلون الاحتفاظ بالتسمية الأصلية هي بلاد الأمازيغ [4].

الأمازيغ : هو اسم أطلقه المغاربة القدامى على أنفسهم وجمعه (إيمازيغن) ومؤنثه تمازيغت ومعناه "الرجال الأحرار"، أو "النبلاء"[5] وجذر هذا المصطلح M Z K أو M Z G وهو ما جعل جعل بعض المؤرخين يعتبرون هدا الاسم الحقيقي لبلاد المغرب نظرا لتواجده في العديد من أسماء القبائل وفي عدة مناطق من بلاد المغرب ، بل والأهم من ذلك هو الاسم الذي سمى به بعض المغاربة أنفسهم إلى اليوم[6] . وقد نسب ابن خلدون سكان بلاد المغرب القديم إلى "مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام "[7] .

بناء على ما سبق فإن كل التسميات التي أطلقت على بلاد المغرب في الأصل تحمل معنى واحد غير أن الاختلاف يكمن في أن كل تسمية سميت من طرف معين سواء كانت من قبل المصريين أو الرومان أو الإغريق كما لا ننسى التسميات المحلية ،لكن ما يلاحظ عن هذه

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، م 3 ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968 ، ص 87 .

[2] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص 25 .

[3] ستيفان قزال ، المرجع السابق ، ص 53 .

[4] شارل جوليان أندري ، المرجع السابق ، ص 12 .

[5] المرجع نفسه . ص 12

[6] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص 26 .

[7] عبد الرحمان بن خلدون ، المرجع السابق ، ص 97 .

التسميات هو تأخر لفظة البربر و إفريقيا أو شمال إفريقيا مقارنة بلفظة لوبة و قد حاول المؤرخين المحدثين أمثال محمد الدويب و محمد الهادي حارش بالإضافة إلى محمد الصغير غانم تقديم الأدلة و الشواهد عن كل مصطلح من خلال الشواهد الأثرية و الكتابية.

2 - الموقع حسب المصادر

من خلال المصادر الإغريقية والرومانية نلاحظ أن الحدود الجغرافية للمغرب القديم تتسع وتضيق وفق لتحركات القبائل المحلية التي مواطن انتشارها تمثل حدود المنطقة ، وقد تغيرت هذه الحدود عبر عدة محطات تاريخية، لكن الثابت منها و ما أجمعت عنه جل المصادر أنها تمثل المنطقة الممتدة غرب نهر النيل شرقا إلى رأس سوليس [1] على أطراف المحيط الأطلسي غربا ، ومن ساحل البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا . وقد تنوعت المصادر القديمة التي تناولت موقع بلاد المغرب على الشكل التالي :

- **جغرافية بلاد المغرب حسب هيرودوت(Hérodote)[2]** : جاء في هيرودوت عن المغرب من خلال ذكر قارات العالم القديم حيث صنف لوبة بأنها القارة الثالثة بعد أوربا وآسيا حاليا – لأن تسميات أوربا و آسيا حديثة – تمتد حدودها من غرب مصر إلى رأس سوليس وهو ما يتفق مع المصادر القديمة ويمكن تقسيمها حسب روايته إلى ثلاثة أقاليم :

-الإقليم الساحلي : وتنتشر فيه القبائل اللوبية على طول الشريط الساحلي المطل على بحر ليبيا حيث يقسمه إلى منطقتين تفصلها بحيرة التريتون الشرقية [3] تمتد من نهر النيل حتى نهر التريتون غربا ساحلها رملي منخفض وهي موطن قبائل البدو ، و الغربية تمتد من التريتون شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، كما أشار إلى أنها موطن الليبيين المزارعين وهي جبلية حافلة بالوحوش الضارية[4] .

---

[1] رأس سوليس : يقع جنوب طنجة بالمغرب الأقصى حاليا ، انظر سيف الدين و آخرون ، أطلس التاريخ القديم ، ط1 ، دار الشرق العربي ، بيروت ، 2009 ، ص 65 .

[2] هيرودوت عرف بأبي التاريخ وهو مؤرخ يوناني (485 – 424 ق.م) ، ابن عائلة تهتم بالسياسة حيث شغف منذ البداية بالتعليم و مطالعة الكتب من أهم مؤلفاته ، مصر هبة النيل و تاريخ هيرودوت : انظر عبد المالك سلاطنية ، المستوطنات الفينيقية – البونية ، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، (ب ، س)، ص 15.

[3] على حسب رواية هيرودوت هي موجودة على الساحل الليبي حاليا ببنغازي .

[4] هيرودوت ، المصدر السابق ، ص 147 .

-**الإقليم الداخلي** : الذي يعتبر امتداد لموطن القبائل اللوبية الساحلية يوازي الإقليم الساحلي.

-**الإقليم الصحراوي** : هو إقليم مناخه صحراوي قاسي تصعب فيه المعيشة ويعتبر طريق القبائل في التنقل[1].

- **جغرافية بلاد المغرب حسب استرابون (Strabon)**[2] : في كتابه السابع عشر قدم لنا استرابون وصفا لجغرافية بلاد المغرب في قوله : " ...تمتد بين الإسكندرية شمالا وميروي عاصمة أثيوبيا جنوبا على امتداد **10 آلاف ستاديوم**[3] ، حيث تقع على حدود المنطقة المشتركة بين المنطقة المحرقة و بين الأرض المأهولة ونستطيع حساب مسافة **3000 ستاديوم** تقدر أقصى امتداد جغرافي طوليا للوبة بحوالي **13000 ستاديوم** ومع ذلك فإننا لا نستطيع وضع تحديد دقيق لكامل المساحة "[4] .

ودورنا نحن كباحثين في المصادر التاريخية التأكد من هذه المسافات بتحويلها للكيلومتر حيث وجدناها تقريبا نفس المسافات الحالية .

وقد وضع استرابون ليبيا بعد آسيا حاليا في مساحتها وتأخذ شكل مثلث قائم(انظر:الشكل 2) وتقسم إلى ثلاث مناطق :

-**المنطقة الأولى** : تمتد من بحرنا – كما ذكره استرابون – ويقصد به البحر الأبيض المتوسط ، وهي خصبة تتاخم مع الحدود القرطاجية إلى غاية موريطانيا و أعمدة هرقل (جبل طارق بالمغرب الأقصى حاليا) .

- **المنطقة الثانية** : تمتد على طول المحيط وهي أقل خصوبة من الأولى .

-**المنطقة الثالثة** : تتوسط المنطقة الخصبة والصحراوية ولا تنبت إلا السلفيوم[5].

---

[1] هيرودوت ، المصدر السابق ، ص 147 .

[2] استربون هو جغرافي إغريقي (63 – 20 ق.م) ألف سبعة عشر مجلد تميزت أعماله بالدقة والجدية، انظر : عبد المالك سلاطنية ، المرجع السابق ، ص 24 .

[3] 1 ستاديوم = 177.6 متر . نفسه .

[4] استرابون ، الجغرافيا ، (ب ،ط) ، تر : محمد مبروك الدويب ، منشورات جامعة قاريونس ، ليبيا ، 2006 ، ص ص 19 – 20 .

[5] نفسه .

أما بالنسبة للمناخ فقد ساد المناخ الرطب على القسم الشمالي الغربي من ليبيا والجزء الجنوبي حار جدا قليل المطر قاحل[1] .

- **جغرافية بلاد المغرب القديم حسب بلين الكبير(Leptis Pline)[2]** : حيث قدم امتداد هذه المنطقة وهي المحصورة بين الحدود الغربية لمصر حتى المحيط الأطلسي و بها خليج سرت وتريتون و أعمدة هرقل ، كان الإغريق يسمون إفريقيا ليبيا والبحر الذي يحدها يسمى البحر الليبي تمتد أقصى حدودها إلى مصر وسواحلها على خط منحرف متواصل من الغرب وهي أكثر المناطق قلة للخلجان[3] .
- **جغرافية بلاد المغرب القديم حسب سالوست (Sallustius) [4]**: في وصفه لجغرافية المنطقة بحيث يصنفها في الجزء الثالث من العالم ، ويحدها من الغرب المضيق الذي يصل بحرنا بالمحيط و بأنها تتميز بالحرارة الشديدة وبصحاري واسعة . أما وصفه للظروف المناخية يذكر أن الأرض خصبة وهي صالحة لتربية الحيوانات لكنها غير صالحة لغرس الأشجار [5] . و يجدر بنا كباحثين في تاريخ بلاد المغرب الإشارة أنه ما يؤخذ عن هذا الوصف هو التناقض حيث أشار أن الأرض خصبة ثم أقر أنها غير صالحة لغرس الأشجار لندرة الأمطار ويمكن أن يكون هذا التناقض نتيجة خطأ في الترجمة لأن استرابون أكد خصوبة المنطقة الأولى لليبيا .
- **جغرافية بلاد المغرب القديم حسب بطليموس(Ptolémaïs)** : يقسم ليبيا إلى خمسة مقاطعات أو أقاليم وهي :

---

[1] استرابون ، المصدر السابق ، ص 20 .

[2] بلين الكبير ، يعرف باسم ببليوس الكبير أو القديم ولد حوالي 23 للميلاد ، كان ضابطا من طبقة الفرسان بإفريقيا ، شغل مناصب في عهد الإمبراطور فسباسيان مات مختنقا بفيزوف سنة 79 للميلاد أثناء رصده ظاهرة البركان الشهيرة . انظر: مها عيساوي ،المجتمع اللوبي في المغرب القديم ، من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي ، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2009 – 2010 ، ص 12 .

3 . 3 Pline L' Ancien ، Histoire Naturelle، paris ، 1980 ، XIV : XIII24 ،

[4] سالوسيت هو مؤرخ روماني عاش في القرن الأول قبل الميلاد (87– 36 ق.م) ، كان أحد المقربين من يوليوس قيصر ، ألف مجموعة من الأعمال التاريخية مستعينا بكتابات المؤرخين القرطاجيين . لمزيد من المعلومات أنظر:عبد المالك سلاطنية ، المرجع السابق ، ص 26 .

[5] سالوست ، الحرب اليوغرطية ، (ب ، ط) ،تر : محمد المبروك الدويب ، منشورات جامعة بنغازي ، ليبيا ، (ب ، س) ، ص ص 31 – 30 .

1 – مافريتانيا تينغيتاني : وتمثل موريطانيا الطنجية .

2 – مافريتانيا كايسارينسيا : وتمثل موريطانيا القيصرية .

3 – نوميديا (إفريقيا)

4 – كيرينايكي (قورينائية)

5 – مارماريكي (مارماريكا) : الإقليم المسمى ليبيا الحالية كما أشار إلى عدد من الوديان المنتشرة عبر سواحل التي كان لها الأثر المباشر في ازدهارها مثل : نهر خولماث – نهر الشلف حاليا– [1].

- **جغرافية بلاد المغرب القديم حسب المؤرخين المحدثين** : تقع بلاد المغرب في شمال القارة الإفريقية حيث تظهر خريطتها في شكل رباعي غير منتظم[2] .

تمتد بين خطي طول 18° – 38° شمالا ، وبين خطي عرض 25° شرقا و 17° غربا. و هي بذلك تشغل موقعا إستراتيجيا من خلال وقوعها على الضفة الجنوبية للحوض الغربي من البحر المتوسط بالإضافة إلى انفتاحها على الحوض الشرقي من خلال سواحل بلاد المغرب الشرقية وكذا حلقة وصل بين ضفتي المتوسط والقارة الإفريقية[3] . وقد أشار محمد الهادي حارش إلى أن تباين التضاريس يرجع إلى عدة عوامل منها: القرب والبعد عن البحر أو الصحراء التي أدت إلى تباين الأقاليم المناخية فقسوة المناخ القاري تقابلها برودة المناخ البحري الذي لا يشمل إلا الشريط الساحلي الضيق مقارنة بمساحة البلاد الكاملة [4] . أما فيما يخص الثروة الغابية تمثلت في البلوط والعرعار والأرز و غيرها . ومن خلال كتابات المحدثين يمكننا أن نحدد البنية التضاريسية لبلاد المغرب والتي تتمثل في :

أ– **الجبال** : توجد في بلاد المغرب القديم سلسلتي جبال الأطلس التلي و الصحراوي وتمتد سلسلة الأطلس التلي من الغرب إلى الشرق ويتجاوز ارتفاعها 2000 متر والتي تتميز بقممها

---

[1] بطليموس كلاوديوس ، جغرافيا ليبيا و مصر، ط 1، تر : محمد المبروك الدويب ، منشورات جامعة قاريوس ، ليبيا ، 2004 ، ص 21 .

[2] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 12 .

[3] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص ص 14 – 15 .

[4] نفسه ، ص16.

المسننة . أما سلسلة الأطلس الصحراوي فهي محاذية للهضاب العليا الممتدة بين السلسلتين والتي تتميز بشدة الانحدار نحو الصحراء وتتشكل من جبال التسالا والبيبان والونشريس . والتي تتميز بشدة الارتفاع الذي يتجاوز 4000 متر ، وهو ما يجعلها في بعض الأحيان محصنة وفي أحيان أخرى عائق للتواصل بين القبائل[1] .

ب- السهول : تتميز بلاد المغرب بوجود نوعين للسهول ، ساحلية محاذية للشواطئ مثل سواحل مجردة بتونس ، والسهول الساحلية الغربية بتونس والسهول العليا بالجزائر ما تعرف بمتيجة في الأطلس البليدي حاليا ، وما يميزها الضيق والتقطع رغم الخصوبة ، أما النوع الثاني: السهول الداخلية التي سميت بهذا الاسم لوقوعها داخل الجبال ، وهي أقل خصوبة من النوع الأول وتشترك معها إلا في خاصية الضيق والتقطع[2] .

ج - الهضاب : وهي المنطقة الممتدة بين سلسلة الأطلس التلي و الصحراوي وهي أقل خصوبة من السهول وتعرف أيضا بالسهوب تستغل كمراعي وتتميز بالشاسعة .

أما بالنسبة للتساقط فهو يتغير من منطقة إلى أخرى ففي الشريط الساحلي لا يتجاوز عمقه في كل الحالات من 100 إلى 200 ملم و يصل في منطقة السهوب إلى 100 ملم[3].

مما سبق نجد أن تباين التضاريس والغطاء النباتي أعطى المنطقة المغرب القديم صعوبة في الاتصال بين مختلف أقاليمه ، و كان لوجود الصحراء أثر في ازدواجية النمط المعيشي بين البدو والحضر[4] .

II. شعوب و قبائل بلاد المغرب

1 - أصل السكان

تعتبر المصادر الأدبية و المادية أهم ما يساعد الباحث في الوصول إلى هدفه ، فدراسة أصل سكان المغرب القديم تتوجب الرجوع إلى المصادر اليونانية مثل هيرودوت الذي أشار في كتابه

[1] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 14 .

[2] محمد البشير شنيتي ، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146 ق.م- 40 م) ، (د . ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 07 .

[3] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص 15 .

[4] نفسه ، ص 17 .

الثاني إلى الأقوام التي سكنت بلاد المغرب قديما بقوله : " تسكنه مختلف القبائل الليبية إلا بعض أجزائه التي يسكنها الفينيقيون والإغريق " [1].

وفي كتابه الرابع يقول : " تعيش هنا أربعة أمم لا أكثر ، اثنان منها أصليتان ، فالليبيون Les Lyiens في الشمال و الأثيوبيون Ethioplens في الجنوب ، والفينيقيون Phéniciens Les و الإغريق Les Grecs استقروا فيها فيما بعد ..."[2] . في موضع آخر يقول : " المنطقة الساحلية الممتدة من مصر إلى رأس سولييس الذي يسجل نهاية القارة الليبية إلى الغرب آهلة بالليبيين ..."[3]. وهو ما يؤكده حارش أن ذلك يشكل ضمنيا الوحدة الإثنية لسكان شمال إفريقيا من مصر إلى المحيط [4]، حيث صنفهم هيرودوت على أساس نمط معيشتهم إلى ليبيين رعاة متنقلين وهم يشكلون قبائل عديدة تعيش في المنطقة الممتدة من مصر شرقا إلى بحيرة التيرون غربا ، ومن بين هذه قبائل هذا الصنف ذكر : الأدروماشيد ، الجينداس ، الماشيل ، الأوسيس، أما الليبيين المزارعين ساكني البيوت فينتشرون في المنطقة الممتدة من بحيرة التريتون حتى رأس سولييس المطل على المحيط الأطلسي والذي يشكل نهاية القارة فقد ذكر منهم:
الماكسوس، الأوزيس ، الزويس ، الجيزيت[5] .

أما في المصادر الرومانية فقد ورد ذكر سكان بلاد المغرب عند سالوست بقوله : " إن السكان الأوائل لإفريقيا هم الليبيون و الجيتول Gétules ، ثم أضاف إليهم المور Maures والنوماد Numides نتيجة امتزاج السكان الأوائل ببقايا جيش هرقل ، من ميديين Médes والفرس Perses و الآرمن ..."[6] لكن شارل جوليان ينفي رواية سالوست و يرى أن أنها لا نصيب لها لها من الصحة [7]. أما محمد الهادي حارش فيذكر أنه يوافق اقتراح قزال الذي حاول التقريب بين Perses الواردة عند سالوست و Peror أو pharust الذي تتواجد أراضيهم على

[1] هيرودوت ، المصدر السابق ، ص 147 .
[2] نفسه ، ص 310 .
[3] نفسه ، ص 308 .
[4] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، 27 .
[5] للإطلاع أكثر انظر:هيرودوت ، أحاديث هيرودوت عن الليبيين(الأمازيغ) ، (ب ، ط) ، مصطفى الأعشى ، مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب ، 2009 ، ص 33 .
[6] سالوست ، المصدر السابق ، ص ص 32 – 33 .
[7] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 71 .

السواحل الأطلسية في المغرب الحالي [1] . كما نفى أيضا جوليان رواية بروكوب Procope الزاعمة بحدوث هجرة فينيقية بعد دخول العبرانيين إلى بلاد الشام مرجعا ذلك إلى مصادر يهودية متأثرة باليونان قائلا : " وليس له أية قيمة تاريخية " [2] . وهناك من ربط سكان بلاد المغرب الذي ذكرهم سالوست من جيتول و ليبيين بمعطيات أنتروبولوجية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ بأصول السكان إلى سلالتين :

- إنسان مشتى العربي في الشمال بين التل والبحر المتوسط .
- الإنسان القفصي الذي شغل القسم القاري الداخلي الذي أصبح لاحقا لقبائل الجيتول[3]. لكن حارش يخلص إلى أن التركيبة الأساسية لسكان بلاد المغرب القديم تنتمي إلى العرق الأمازيغي القديم الذي كان موجودا في المنطقة منذ ما قبل التاريخ كتركيب لم يتوقف عن الإثراء بواسطة مساهمات إثنية وثقافية [4]. ليضيف أنه في الجانب الإثني لم تكن مساهمة كبيرة، حيث تنتهي بالذوبان في العنصر البربري الغالب ، أما ثقافيا فكانت المساهمة أنشط و أكثر تأثيرا ، لكن دون أن تتمكن من إلغاء الركيزة القديمة[5] .

2 - تنوع التركيبة البشرية

عرف المغرب القديم منذ مجيء الفينيقيين تنوع في التركيبة البشرية ، إذا تعددت الأجناس بين المحلية و وافدة وقد ذكر هيرودوت بأن سكان المنطقة الممتدة من غرب النيل إلى المحيط شعوب تسمى الليبو وهم العناصر المحلية وتتمركز في الشمال ، أما الفينيق والإغريق فهم الوافدون[6] و يمكننا تصنيفها بالشكل كالآتي :

أ – السكان الأصليون :

[1] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص 27 .

[2] أندري شارل جوليان ،المرجع السابق ، ص 71 .

[3] محمد الصغير غانم ، مواقع و حضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى ، ط 1 ، عين مليلة ، الجزائر ، 2003 ، ص 93 .

[4] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، 32 .

[5] نفسه ، ص 33 .

[6] هيرودوت ، المصدر السابق ، 369 .

- **المور** : هي كلمة ذات أصل فينيقي تعني عندهم الغرب [1] ، و اسم موريطانيا أو موريزيا قد اشتق من المور الذين أشار إليهم سالوست في حديثه عن السكان الأوائل لإفريقيا [2] و اشتق الإغريق فيما بعد كلمة " موريزيا " ، وجرى تداولها في المصادر الرومانية بصيغة موري " Mauri " فجعل سالوست الموريين – كما سبق ذكره – مزيجا من اللوبيين والميديين ، استوطنوا القسم الغربي من شمال الإفريقي الممتد من واد ملوشة (الملوية) إلى المحيط الأطلسي . [3] وقد استمرت هذه التسمية إلى العهد الذي سيطر فيه الرومان على المنطقة ، أما عن هذه (مور) فهي ذات أصل فينيقي وتعني أقصى الغرب حيث اشتقت من كلمة "موهيريم" التي لها ذات المدلول[4] .
- **النوميديون** : ورد أول إشارة إليهم عند هيرودوت بصيغة نوماداس (Nomadés) قاصدا بها اللبيين البدو [5] ، أما في القرن الثالث قبل الميلاد فقد أخذت كلمة نوميديا مدلولا جغرافيا تمتد من قرطاجة إلى واد ملوية غربا ، وكانت حدودها تتقلص وتتسع حسب قوتها أو ضعفها ، وسمي السكان النوميديين[6].
- **الجيتول** : أحد الشعوب الأصلية في بلاد المغرب القديم ، ويعتبر الشعب الثالث الذي يعمر إفريقيا الشمالية[7] ، كانت قبائل الجيتول تنتشر من الهضاب العليا إلى الصحراء جنوب موريطانيا ، ومن المحيط الأطلسي إلى فزان ، وقد ذكر استرابون شبه مناطق انتشارهم بالبقع على جلد الفهد ، لم ترد هذه التسمية عند هيرودوت مما يدل على أن الجيتول ظهرت فيما بعد ، إذا لم ترد في المصادر اللاتينية إلا بداية القرن الثاني قبل

[1] عبد الرحمان بن خلفة ،الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م) مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم ، جامعة منتوري، قسنطينة ، الجزائر ، 2007 / 2008 ، ص 15.

[2] سالوست ، المصدر السابق ، ص 31 .

[3] عبد الرحمان خلفة ، المرجع السابق ، ص 15 .

[4] محمد العربي العقون ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم ، ط 1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2008 ، ص 155.

[5] محمد البشير شنيتي ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/ 40 م) ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (ب ، س) ، ص ص 163 – 164 .

[6] نفسه ، ص 165 .

[7] سالوست ، المصدر السابق ، ص 32 .

الميلاد . كان الجيتول منقسمين إلى عدة قبائل منها : الأتوتول ، هذه الأخيرة لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة ، فهي القبيلة الأقوى وقد خص سالوست الجيتول بلعب دور مهم في تكوين الشعب النوميدي [1] . في حين أشار تيف ليف إلى أنهم يشكلون قسما من جيوش حنبعل ، أما قزال فيرى أن الجيتول الأتاتول كانوا يتواجدون بجوار واد بورقرق و مدينة سيلا بالمغرب الأقصى حاليا ، وكانوا يهددون خطوط الاتصال بالأطلس و يشكلون خطرا على المستعمرات الرومانية . وفي مجمل القول فهم يتمركزون في السهوب والمرتفعات الجنوبية والحواف الشمالية للصحراء فيما بين المحيط الأطلسي حتى فزان شرقا و اشتهروا بممارسة الرعي [2] .

ب – السكان الوافدون :

الفينيقيون : عرف التوسع الفينيقي في بلاد المغرب مرحلتين : الأولى استكشافية لمراقبة المنطقة ، أسست خلالها أوتيكا [3] و ليكسوس [4] وذلك نهاية الألف الثانية قبل الميلاد ، والمرحلة الثانية استقرار تمثلت في إنشاء محطات تجارية ثابتة مثل : قرطاجة و حضرموت (سوسة) [5] ، وقد كانت العلاقة بين الفينيقيين و اللوبيين الذين يعتبرون السكان الأصليين سلمية تجارية ، ولعل الاستمرار في هذا التوافق بينهما منذ تأسيس قرطاجة إلى القرن الخامس قبل الميلاد دليل على الانسجام بين الطرفين كما يمكن أن تكون تلك الفترة التي تكونت فيها الحضارة البونية (فينيقيين – لوبيين)[6]

---

[1] نفسه ، ص 33

[2] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص 32 .

[3] أوتيكا : هي مستوطنة فينيقية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، تأسست حوالي القرن الحادي عشر ق .م ، وهي تقع على السهول الشمالية الساحلية التونسية ، انظر : محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية النشأة والتطور ، ج 1 ، ط 1 ، شركة العلا ، عين مليلة ، الجزائر ، ص 74 .

[4] ليكسوس : من بين أقدم المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط موقعها حاليا يبعد عن مدينة العرائش حوالي 4 كلم . انظر : محمد الصغير غانم ، نفسه ، ص 74 .

[5] سوسة : هي مدينة تونسية تقع على بعد 140 كلم جنوب العاصمة ، أسسها الفينيقيون في الألف الأولى قبل الميلاد وتغير اسمها و أطلقوا عليه "حضرموت" ، نسبة لتشابه سواحلها بسواحل حضرموت الموجودة في جنوب شبه الجزيرة العربية . لمزيد من المعلومات انظر : عبد المالك سلاطنية ، المرجع السابق ، ص 227 .

[6] محمد البشير شنيتي ، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال ، ط 1 ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2012 ، ص 198 .

الرومان : بعد سقوط قرطاج وتدميرها سنة 146 ق.م دخل الرومان بلاد المغرب الكبير من بابها الواسع بل وتربع على عرشها ونهب خيراتها وقد وفدت جميع طبقات المجتمع الروماني من حكام وتجار و مزارعون ، وقد تركز هؤلاء في المدن البونية التي تتوفر على مرافق الراحة والرفاهية[1] .

[1] محمد البشير شنيتي ، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال. المرجع نفسه، ص198

الفصل الأول :

بلاد المغرب القديم ما بين القرنيين 9ق.م– 2ق.م

المبحث الاول : مملكة قرطاجة

المبحث الثاني : الممالك الوطنية

I. مملكة قرطاجة (تأسيسها – تطورها – سقوطها)

1 – اختلافات تأسيس المملكة القرطاجية

يعتبر وصول البحارة والمستوطنين من فينيقيا إلى سواحل بلاد المغرب القديم محطة لدخوله مرحلة ظهور الكتابات التاريخية المتعلقة بهذه المنطقة ، ولكن تناول تاريخ هذه الفترة أمر صعب، وذلك لأن المصادر كلها تقريبا يونانية و لاتينية. وكذلك يكتنف الحضارات الليبية المحلية قبل القرن 3 ق.م بعض الغموض، وقد استمر تراث حضارة العصر الحجري الحديث في المغرب حتى الألف الأولى قبل الميلاد[1].

وما يمكن الإشارة إليه ما قاله الدكتور محمد الصغير غانم عن التواجد الفينيقي في غربي البحر المتوسط الذي كان بإنشاء مجموعة من المستوطنات الفينيقية التي سبقت تأسيس قرطاجة ونذكر منها :

1_ قادس: وهي تعد من المستوطنات الباكرة في الحوض الغربي للمتوسط، وقد أسسها التجار الفينيقيون لأغراض اقتصادية وقد أسست حوالي القرن الثامن ق.م وهي شبيهة بمدينة صور[2].

2_ مالقا(malga): وكانت مخصصة لتجفيف الأسماك وتمليحها.

3_ أبديرا (Abdera) :أسسها القائد القرطاجي صدربعل (وهي من المستوطنات المتأخرة).

4– سردينيا: أو ما يسمى (صونت سيراي).

5– أوتيكا: على الساحل الغربي من خليج تونس وذلك سنة 1101 ق.م[3].

6 – تأسيس قرطاجة:

_ اختيار الموقع وأسباب بناء المدينة:

أ_ أصل التسمية:

جاء اسم قرطاجة (Carthage) من (Cartago) وبدقة هي (Kartago) وهو لفظ لاتيني للكلمة اليونانية (Karchedàn) التي بدورها لفظ محرف للتسمية الفينيقية المركبة (قرت حدشت) والتي تعني المدينة الجديدة. وفي وقت ما وبسبب المفاهيم السياسية للفينيقيين فرضت

---

[1] ب.هـ. وار منجتون ، (تاريخ إفريقيا العام) العصر القرطاجي ، م 2 ،(د.ط) ، إش: جمال مختار، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونيسكو، 1985، ص 453.

[2] محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي ، المرجع السابق ، ص ص 82– 83.

[3] المرجع نفسه ، ص 85 .

قرطاجة نفسها بقوة على رأس العالم البوني، ونحن لا نقبل بالترجمة التي تعطي لكلمة (Cart) مدلول (عاصمة)، إذ فسر"كاتون (Katon)" أصل هذه الكلمة ومعناها، وأشار "تيت–ليف" (Tite–live) إلى كلمة قرطاجة في اللغة البونية أنها تعني المدينة الجديدة [1]. وهو ما اتفقت عليه جل المراجع الحديثة مع ما ورد في القواميس لمعنى هذه الكلمة . وهذا والمعنى يدل على أن الاسم قد اختير ليدل على مدينة ورثت مركزا أكثر قدما منها في ذلك الموقع أو أنها ألحقت به.ويدل هذا ضمنا على أن المكان قدر له منذ البداية أن يكون المستوطنة الرئيسية للفينيقيين في الغرب، وإن كنا لا نعرف عن آثارها في أقدم فترات تاريخها سوى قدر ضئيل لا يسمح بالتأكد من هذا الأمر [2]. وقد أسسها سنة (814 ق.م) فينيقيون أتوا من صور وأطلقت كلمة "فوني" على فينيقي الغرب وعلى إنتاجهم [3]. ولقد بنيت في القرن الثاني قبل الميلاد "قرطاجة أو قرطاجنة" أخرى (Cartagene) في إسبانيا، وكانت هي أيضا مدينة جديدة بالمفهوم الذي يدل على تجديد البناء الفينيقي القديم "لقادس"[4].

ب_ ظروف وأسباب بناء المدينة الجديدة:

لا يمكن أن نستنتج شيئا ذا قيمة تاريخية من أسطورة التأسيس التي وصلت إلينا في مختلف كتابات المؤلفين الإغريق والرومان، فقد عثرنا على آثار ترجع إلى حوالي التاريخ المذكور (814 ق.م) ، ويشير الترابط العام للشواهد الأثرية أنه بينما كانت الرحلات الفردية تتم في فترة مبكرة فإن المستوطنات الدائمة على ساحل المغرب لم تتم قبل سنة (800 ق.م)[5]. ولقد نقلت لنا ظروف بنائها بواسطة العديد من الكتاب بمختلف المعطيات التي تلامس هذا الموضوع وربما كانت هذه الراويات شائعة في أوساط القرطاجيين الذين كانوا على احتكاك مع العالم الإغريقي.وبعد أن تمكنت "عليسا" وصحبها من الوصول إلى سواحل أفريقيا، وكان أول أهدافهم هو سعيهم لإقامة علاقات صداقة مع السكان الأصليين الذين رأوا في القادمين الجدد إمكانية إقامة محطات تجارية مريحة، فقد عرضت الملكة على السكان أن تشتري منهم قطعة أرض

---

[1] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو امبراطورية البحر، ط 1، تر: عز الدين أحمد عزو، دار الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1996، ص 53.

[2] ب.هـ. وار منجتون، المرجع السابق، ص 455 .

[3] مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، ط1 منشورات عويدات، بيروت–لبنان، 1981، ص 10.

[4] فرانسوا ديكريه، المرجع السابق، ص 54.

[5] ب.هـ. وار منجتون، المرجع السابق، ص 455.

بمقدار ما يمكن لجلد ثور أن يغطيها كي تستريح هي وصحبها المنهكون بسبب الملاحة. ولقد كان سكان بلاد المغرب القديم يخشون هؤلاء الغرباء دون شك، إلا أن عرض الملكة بدا لهم متواضعا فقبلوا؛ غير أن الملكة "عليسا" لجأت إلى حيلة جديدة، إذ قامت بقص جلد الثور إلى سيور رفيعة جدا. وبعد أن تكللت إقامتهم الأولى بالنجاح، أنشئوا مدينة على هذا الشاطئ[1].

ج – اختيار الموقع وبداية التشييد: باشر الفينيقيين الحفر بهدف تأسيس المدينة المدعوة، فعثروا فيها على "رأس ثور" فأحسوا أن ذلك نذير شؤم، فاختاروا أرضا أخرى، فعثروا فيها على رأس حصان، ورأوا فيه رمزا للقيم الحربية والقوة فكان هو المكان المختار [2]. وتقع قرطاج على بعد ستة عشر كيلومترا تقريبا من الشمال الشرقي لمدينة تونس على شبه جزيرة واسعة، يحدها من الجنوب خليج تونس، ومن الشرق البحر (البحر المتوسط) ومن الشمال بحيرة (سوكرا) المالحة والممتدة على الشاطئ، ويتصل شبه الجزيرة هذا من الغرب بالقارة الأفريقية.

وتعد قرطاج من بين أجمل المناظر الطبيعية في العالم إذ يحظى الموقع بمميزات ثمينة، تعتبر ضمانات لتأمين وتوسيع العاصمة وحماية جلالها وتألقها الصاعدين [3]، ويميز هذه المنطقة مناخ حار معتدل [4]، يوفر لها مزروعات متوسطية كالحبوب والخضار وغيرها وليس تفاوت درجات الحرارة فيها كبيرا جدا، بل يلطفه جوارها للبحر، ومعدل تساقط الأمطار يبلغ ثمانين يوما في السنة، مما يجعل مناخها صحيا وقليل الرطوبة وفي أغلب الأحيان تتعرض مدينة قرطاج لريح شمالية غربية، كما أن نسيم البحر يخفف من وطأة السموم عند هبوبها[5].

د – البناء الحضاري للمدينة:

لم يمض على بناء المدينة زمن طويل حتى استولى أهلها على شطوط إفريقيا، وبعض جزر البحر المتوسط والأقيانوس الأتلنتيكي (المحيط الأطلسي)، فأصبحت سلطتهم عظيمة جدا، واقتضت الحال أن يكون لهم جيش وافر، وبوارج كثيرة، ولا سيما أن لصوص

---

[1] فرانسوا ديكريه، المرجع السابق، ص 55 .

[2] المرجع نفسه ، ص 57 .

[3] فرانسوا ديكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ. تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق،1994، ص ص 47– 48.

[4] يشبه إلى حد بعيد مناخ تونس حاليا، إذ لا تتلقى هذه المنطقة في الوقت الحاضر إلا 450 مم^3 من مياه الأمطار.

[5] مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص14 .

البحر كانوا خطرا على تجارتهم [1]. ولكي تشعر قرطاجة بالأمن بنت أسوارا شاهقة وعريضة القاعدة وانحناء حيطان السور خارجًا يمنع التعمشق الفردي (التسلق) أو طرح السلالم للتسلق [2]، ومع ذلك تصر قرطاجة على حماية ذاتها، فالسور يتقدمه خندق [(3)]، الأمر الذي جعل وسائل الدفاع عن قرطاج في غاية القوة، ولم تقتصر وسائل التحصين على ذلك، وإنما أقيمت قلعة داخلية[4]، يحيط بها سور كبير طوله حوالي ثلاثة كيلومترات، وهو بلا شك أقدم جزء في المدينة[5].

وفي أخر هذا المطلب نقدم مقارنة للمؤرخين المغاربة المحدثين بداية ب الدكتور محمد الصغير غانم الذي أشار إلى إنشاء مدينة قرطاجة التي تعتبر من أهم المستوطنات الفينيقية في وسط السواحل المغاربية ، وبالضبط في خليج شمال تونس سنة 814 ق . م تغيرت زعامة المدن الفينيقية بحيث حلت مدينة قرطاجة محل صور ، وبذلك أخذت زعامة المستوطنات الفينيقية القرطاجية في الحوض الغربي للبحر المتوسط وهو بذلك يؤكد فكرة الدكتور محمد فنطر و قد أيده في ذلك الدكتور محمد الهادي حارش الذي قدم التطور الذي شهدته قرطاجة من مركز تجاري إلى قوة بحرية خلال القرن 5 ق. م .

2 – المظاهر الحضارية لمملكة قرطاجة:

أ . المظهر السياسي:

يؤكدوا المؤرخون على أنهم لم يعرفوا الشيء الكثير عن الأنظمة السياسية القرطاجية في القرون الأولى لكنها من المؤكد أنها كانت مشابهة لنظام صور السياسي على أنها من الأجدر أنها كانت ملكية في البداية ورغم أن التاريخ لم ينقل لنا اسم أي ملك قرطاجي قبل القرن 5 ق. م إلا انه في أوائل هذا القرن يكون هميلكار ابن حنون قد وصل إلى الحكم نتيجة قيمته هذا ما يفهم منه أن تعيينه كان بالاختيار لا وراثيا ،أي أن نظام الحكم قد تعرض للتغيير.أما في

---

[1] نجيب متري، كتاب ملخص التاريخ القديم، (مقتطف من أصدق المصادر وأصحها). ف 6، مطبعة المعارف، ، مصر، 1331 هـ–1913م ، ص 45.

[2] محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم (المغرب القديم)، دار المعرفة الجامعية، 1410هـ–1990م، الاسكندرية، مصر، ص 192.

[3] شوقي خير الله، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب. ط1، دار النشر (مركز الدراسات العلمية)، 1992، ص 72.

[4] مكانها الآن كنيسة لويس التاسع.

[5] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 192.

النصف الثاني من القرن 6 والنصف الأول من القرن 5 قبل الميلاد سيطرت الأسرة الماغونية طيلة ثلاثة أجيال على الحكم ،ومن أهم حكامها نجد[1]:

ماغون وأبناءه (صدر بعل، هملكار) ثم أبناء صدر بعل الثلاث وهم (حنبعل، صدر بعل، سافوا) وأبناء هملكار الثلاثة (خميلكان ، حنون ، جيسكون) [2] . لقد كان المظهر الوحيد في قرطاجة الذي حظي بإرضاء أباطرة الإغريق هو دستورها السياسي الذي يبدوا انه يكفل لها الاستقرار وهنا يبرز التأثير الإغريقي في قرطاجة نتيجة الاحتكاك حيث كان هذا الدستور مشابه بدرجة كبيرة بدستور اسبرطة وأثينا[3].

المظهر الاقتصادي:

أ . التجارة: كانت قرطاجة تمثل أغنى مدينة في عالم البحر المتوسط ، لقد كان دورهم التجاري يتمثل في إيصال السلع غير المصنعة في شرقي المتوسط ثم نقل البضائع المصنعة من هذه الدول وتوزيعها على محتاجيها من الشعوب حيث حصل القرطاجيون على هذه المعادن الخام من كل مقاطعة كرنويل وجزر كاسيتريدس التي كانت تحتوي على معادن القصدير وإسبانيا حاليا التي وجد بها مناجم الفضة والرصاص والنحاس ، ومن غرب إفريقيا الاستوائية وبلاد السودان اللتان كان يجلب منها الذهب والعاج والحجارة الكريمة[4].

وقد لجئوا إلى الدفع بالطرق المعمول بها آنذاك من السبائك الذهب أو الفضة أو العملات الأجنبية إذ لم تسك العملة حتى أواخر القرن الخامس ق.م في قرطاجة، وكانت صادراتهم عبارة عن أقمشة، الزرابي، العسل ، التين، المرمر، النحاس، الحيوانات المفترسة، الخمر والزيوت [5].

وقد عرف القرطاجيون أيضا نظام المقايضة الصامتة حيث يفرغون بضائعهم في مناطق بعيدة غير معروفة ثم يعودون للسفن ويرسلون إشارة بالدخان ، عندما يرى الأهالي الدخان يأتون لذلك المكان يضعون كمية من الذهب أو العاج أو جلود الغزلان وغيرها مقابل البضائع ثم ينسحبون، عند ذلك يعود القرطاجيون للمكان من جديد ويفحصوا جيدا ما تركه الأهالي فإذا رأوا أنه يعادل

---

[1] محمد الهادي حارش، المرجع السابق ، ص72.

[2] المرجع نفسه ، ص 73.

[3] محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ص 196.

[4] محمد الصغير غانم، المرجع السابق،ص113.

[5] ج . كونتو، الحضارة الفنيقية ، تر: محمد عبد الهادي شعيرة ، مرا : طه حسين ، شركة مركز كتب الشرق الاوسط ، ص87.

قيمة البضائع أخذوه وأبحروا بعيدا ،وإذا كان غير كافي عادوا إلى سفنهم وانتظروا أن يضيف الأهالي الكمية الكافية لإرضائهم، ولم يكن القرطاجيون يقربون الذهب أو السلع حتى يساوي في قيمته البضائع التي أحضروها كما أن الأهالي ما كانوا يقربون البضائع حتى يتم نقل الذهب من مكانه [1]، أما عن التجارة البحرية الخارجية فقد كانت مزدهرة للغاية وأدت إلى ظهور الرحلات الاستكشافية للملوك القرطاجيين الكبرى ولعل من أهمها رحلة هملكون التي انطلقت من قرطاجة ووصلت حتى اسبانيا والغال من اجل السيطرة على تجارة القصدير، ولم يسمح القرطاجيون بتسرب المعلومات عن هذه الرحلات إلا نادرا [2]. بالإضافة إلى رحلة الملك القرطاجي حنون التي كانت حوالي (450 – 350ق.م)، رحل من قادش حول افريقية إلى أن وصل جزيرة العرب من الجنوب ثم كتب كتاب وصف فيه هذه الرحلة ،و لقد كان الميناء القرطاجي يعج بالسفن التجارية والسلع ومختلف المنتوجات من مختلف المناطق[3].

ب . الصناعة: اشتغل الفينيقيون بالصناعة منذ تأسيسهم قرطاجة غير أنها كانت في أول الأمر بسيطة بحيث لا تتجاوز صناعة السفن وإصلاحها واستخراج صباغة الأرجوان بالإضافة إلى صناعة الفخار التي كانت منتشرة ، ولم تزدهر الصناعة القرطاجية إلا اعتبار من القرن الخامس قبل الميلاد نتيجة اصطدامهم مع الإغريق. ولعل من أهم الصناعات التي برع فيها القرطاجيون صناعة المعادن، حيث كانت قرطاجة تصنع سلاحها بنفسها ، وصناعة النسيج والثياب الأرجوانية وصناعة الأخشاب والنقش عن الأحجار الكريمة [4]، وقد كانت الصناعة البحرية تحتل الصدارة خاصة صناعة السفن نتيجة كثرة الأشجار في المنطقة خاصة خشب(السرو) بالإضافة إلى أعمال النجارة من صناعة النوافذ والكراسي والخزائن الخشبية[5].

ج . الزراعة: كانت الزراعة في قرطاجة في أول الأمر متواضعة جدا ثم تطورت تدريجيا، حيث كانت ملكية المزارع الواسعة من حق الأغنياء الارستقراطيين الذين كانوا يوجهون السلطة السياسية والاقتصادية في مدينة قرطاجة [6]. ولعل سبب تطور الزراعة في قرطاجة الرئيسي كان

---

[1] جان مازيل ، المرجع السابق، ص227.

[2] فرانسو ديكريه ، المرجع السابق، ص104.

[3] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص113.

[4] المرجع نفسه ص114 .

[5] ج . كونتو، المرجع السابق، 89 .

[6] شوقي خير الله، المرجع السابق، ص139.

هزيمة قرطاجة في معركة هميرا في 480 ق.م هذا ما حد من نفوذ قرطاجة في البحر ووجهت أنظارها لأراضي الأهالي للزراعة، وهنا قامت زراعة نشيطة جدا[1].

ومن أهم المزروعات نجد أشجار الزيتون والكروم والتين والرومان والقمح والشعير واللوز والأجاص وكانت لهم بساتين ومراعي واسعة مكتظة بقطعان الماشية من خرفان وثيران وخيول ودواجن والنحل والأبقار بالإضافة للبغال [2]. لقد برع القرطاجيون كثيرا في مجال الزراعة فظهر بينهم علماء مختصون مثل "ماغون" الذي عاش حوالي القرن 3ق.م وألف دائرة معارف تتكون في 28 كتاب علمي ضمنه تفاصيل فن الزراعة وتربية الحيوانات وصناعة الخمور ولم يكتفي ماغون بتقديم نصائحه بل ذهب إلى معارضة امتلاك المواطنين للأراضي الزراعية وإهمالهم العناية بها ،وطلب ممن يزاول مهنة الزراعة أن يتفرغ لها[3].

المظهر الديني:

كانت الديانة تحتل مكانة هامة في حياة القرطاجيين ،ولعل أسمائهم أكبر دليل على ذلك حيث نجد الأسماء مركبة من اسم الآلهة ،ومثال ذلك "حنبعل" أي حضي بحضوة بعل "ومتوم بعل" أي هبة بعل، وعبد أشمون أي خادم أشمون، وعبد ملقرت أي خادم ملقرت.

والملاحظ أن المهاجرين الأوائل من فينيقيا قد واصلوا عبادة آلهة فينيقية فنجد أنهم عبدوا الإله الفينيقي" إيل" (السيد الملك) وملكرت الذي يعني ملك القرية كلها كانت موجودة في فينيقيا سابقا[4]. وتعتبر تانيت وبعل حمون وهو سيد المعبد وإليه تقدم القرابين البشرية، المعبودين الرئيسيين للقرطاجيين وبالإضافة لهما نجد الإله ملقرت اله صور التي كانت قرطاجة ترسل إلى معبده في صور كل عام الهدايا والقرابين حيث كانت تبلغ عشر دخل قرطاجة، كما عبدت عشتارت في قرطاجة وكذا الإله أشمون اله الشفاء ومعناه الزيت سمي بهذا نظرا لما يتمتع به السائل من قدرة شفائية يهب الأبناء والحياة والصحة، أما تانيت فقد ظهرت عبادتها في قرطاجة في القرن الخامس قبل الميلاد كمعبودة شعبية وهي غير فينيقية،كما أن اسمها ليبي عبدها البربر وهو دليل على أنها بربرية الأصل ،وهي آلهة الإنتاج والخصوبة ورمز لها بامرأة ترضع

[1] ج. كونتو، المرجع السابق ، ص87.

[2] المرجع نفسه ، ص88.

[3] محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية ، المرجع السابق،ص116.

[4] شوقي عبد الله، المرجع السابق ، ص140.

ابنها، أما عشتارت هي بعلة أو السيدة وهي ربة الصيد العظيمة يصورونها على شكل هلال، وصلتهم عن طريق الفينيقيين[1].

وبخصوص المعابد والكهنة فقد كانت المعابد القرطاجية الأولى خالية من التماثيل واكتفى القرطاجيون في بداية الأمر بتمثيل بعض أجزاء الجسم مثل الأذن، العين، الفم، اليد، ووجدت على النصب النذرية وهي إشارة إلى أن تانيت وبعل قد سمعا واستجابا لدعوة الداعي وباركاه، وكان للقرطاجيون في المرحلة الأولى كهوف مقدسة ومرتفعات مقدسة وفي مراحل لاحقة أصبحت المواقع المخصصة للعبادة في المناطق السهلية تقام في الهواء الطلق محاطة بأسوار خشنة ووسطها مكان تقديم الأضاحي فيما بعد أصبحت هناك بناء في الوسط مبنى صغير كمسكن للإله قبل أن تتحول إلى معابد[2].

د **. المظهر الاجتماعي والثقافي:**

تكون المجتمع القرطاجي في بداية الأمر من الصوريين الذين أسسوها حيث قدم معهم بعض المعمرين الفينيقيين من سكان صيدا وأرواد والمدن الفينيقية الأخرى ،بالإضافة إلى القبارصة والأهالي البربر الذين جلبتهم خيرات المدينة ،وفي العصور اللاحقة جلب العديد من العبيد من مناطق مختلفة، كما وصلها التجار من صقلية والإغريق وغيرها من المناطق، ومن هنا تكون خليط المجتمع القرطاجي الذي عرف بالمجتمع البوني نتيجة لغته البونية التي جمعت بين اللغة الفينيقية والبربرية ببعض تأثيراتها[3] .

وعلى العموم يقسم المجتمع القرطاجي لثلاث طبقات فنجد في القمة الطبقة الأرستقراطية الثرية التي كانت تسيطر واقعيا على الشؤون العامة السياسية والاقتصادية خاصة، وتضم الملك وحاشيته وأتباعه من نبلاء وتجار كبار وكهنة، ثم يليها طبقة عامة الشعب الذي يتمتع ببعض الحقوق السياسية المعتبرة التي كانت في بعض الأحيان وهمية، وأخيرا طبقة العبيد الذين كان عددهم كبير وهم يعملون خاصة في الفلاحة عند الأثرياء ولا يتمتعون بأي حقوق سياسية[4].

[1] جان مازيل، المرجع السابق، ص213.

[2] أحمد فرجاوي،المرجع السابق، ص207.

[3] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 78.

[4] المرجع نفسه ، ص 90 .

أما من الناحية العمرانية فقد كانت قرطاجة مقسمة إلى أحياء سكنية متميزة حسب الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع القرطاجي وهي ثلاثة أحياء ،حي صلانبو أو سلانبو ،وحي بيرصة أو بيرسة، وحي ميغارا[1].

أما عن مظهرهم وأزيائهم ولباسهم كان القرطاجيون نساء ورجال يعتنون كثيرا بشعرهم ويستعملون أمشاط من العاج، لقد كانوا يعتقدون في وجوده قوة خاصة مركزها شعر الرأس وقد كانوا يرون أن هذه القوة العجيبة تقيم بصفة خاصة في خصلة يحافظون عليها باعتناء كبير، لقد كانوا يرتدون جباب طويلة فضفاضة ذات أكمام ،وكانوا لا يتمنطقون أي لا يشدون وسطهم بنطاق وكانوا لا يخرجون مكشوفي الرأس بل يضعون على رؤوسهم قلنسوة طويلة ودقيقة ومستديرة تسمى الطرطور المخروطي الشكل وأحيانا تكون أسطوانية وقصيرة ،وكان يشدون أيضا على رأسهم صمادة يربطونها أحيانا فوق جبينهم ويرخونها على أكتافهم أو يلفونها بشكل عمامة، و يلبسون في أرجلهم نعالا أو صندلة وأحيانا أحذية عالية، أما النساء فقد كن يلبسن الفشان ويشددنه في خصرهن[2].

أما عن الفنون والمظهر الثقافي ما يمكن قوله بصفة عامة أن الآداب القرطاجية لم يذكر عنها شيء فالكتب المتحصل عليها جاءت على ذكر الزراعة وغيرها مثل كتاب ماغون في الفلاحة والزراعة، أما عن الفلسفة والتاريخ والجغرافيا فلم يوجد لها أثر وإن وجدت ربما تكون قد انتقلت إلى أيدي الملوك النوميديين أو أحرقت مع حرق المدينة ولعل الأجدر بالإشارة أنهم تكلموا البونيقية التي هي مزيج بين الفينيقية والليبية أما عن فنهم فقد أقتصر على تحويل بعض المواد إلى الاستخدام العلمي[3].

3 – سقوط قرطاجة

سبق سقوط قرطاجة الحروب البونية الثلاثة وهي كالتالي :

الحرب البونية الأولى (264 – 241 ق.م) بدأت الحرب البونية الأولى في عام (264ق.م)، في شمال جزيرة صقلية والتي انتهت بانتصار الرومان في معركة جزر (ايغاتس) في العاشر من مارس 241 ق.م ، و أجبرت قرطاجة على توقيع معاهدة الاستسلام التي تتخلى بموجبها

[1] محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، المرجع السابق ، ص 108.

[2] المرجع نفسه ، ص 164.

[3] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 90.

على صقلية و الجزر الواقعة بينها و بين ايطاليا ، و كذا دفع غرامة حربية قدرها 3.200 وزنة أوبية ، موزعة على عشر سنوات مع الحظر على قرطاجة تجنيد المرتزقة في ايطاليا و عند حلفاء روما . بعد أن وضعت الحرب أوزارها ،عجزت قرطاجة عن دفع أجور المرتزقة العشرين ألف الذين تجمعوا في ضواحي سيكا على أثر عودتهم من صقلية فثاروا ضدها ، وفي هذه الظروف ثار أيضا المرتزقة في سردينيا ، مما تسبب في استنجاد سكان هذه الجزيرة بروما التي استغلت الفرصة و فرضت معاهدة جديدة على قرطاجة سنة 238 تتخلى هذه الأخيرة بمقتضاها على جزيرتي سردينيا و كورسيكا مع دفع 1.200 وزنة أوبية إضافية ، و بالمقابل سمحت لها روما بتجنيد جنود جدد من ايطاليا ، مما مكنها من القضاء على الثائرين سنة 237ق.م.[1] ثم تولى حنبعل قيادة الجيش القرطاجي في اسبانيا ، وكان استيلاؤه . على مدينة ساغنتة سببا في قيام الحرب البونيقية الثانية .

الحرب البونيقية الثانية (218-201 ق.م):كانت روما تخطط للقضاء حنبعل[2] في اسبانيا بعد احتلاله لمدينة ساغنتة سنة 219 ق.م ، بتوجيه قوات إلى إفريقيا فكانت بذلك ميادين الحرب البونيقية الثانية هي: ايطاليا و اسبانيا و إفريقيا[3]. و ما يهمنا في موضوعنا هذا جبهة إفريقيا و التي أهم ما ميزها المعركة الفاصلة في " زاما" (19 أكتوبر 202ق.م)،و معاهدة زاما201ق.م التي اضطرت قرطاجة إلى القبول بشروطها المتمثلة في :

1_ أن تسلم كل أملاكها التي خارج أفريقيا.

2_ أن تتعهد أن لا تثير حربا البتة ما لم تسمح روما بذلك.

3_ أن تدفع غرامة مالية سنوية(48.800 جنيه) لمدة خمسين سنة.

4_ أن تسلم بوارجها وأفيالها[4].

[1] شارل أندريه جوليان ، المرجع السابق ، ص 96 .

[2] ويل ديورانت ، قصة الحضارة ، مجلد 3 ، ج 1 ، ص 43 .

[3] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي، المرجع السابق ، ص 63 .

[4] نجيب متري، المرجع السابق ، ص 45.

التي لا تنتهي وجودها كقوة بحرية في البحر الأبيض المتوسط، فحسب بل حتى كدولة سيدة على أراضيها في إفريقيا ذاتها. ولما شعر أنه يفاوض الرومان لتسليمه انتحر عام 183ق. م[1].

- الحرب البونيقية الثالثة 149 – 146 ق.م: (تدمير قرطاجة)

أستغل مسينيسا بندا من بنود معاهدة زاما الذي يخول له استرجاع ممتلكاته وممتلكات أسلافه في التوسع على حساب قرطاجة، التي ضاق صبرها،وردت الفعل، وهو ما كان وراء التدخل الروماني سنة 149ق.م، بدعوة خرق قرطاجة لبند من بنود معاهدة زاما التي تحضر عليها إعلان الحرب في إفريقيا أو إخراجها بإذن من روما،فأرسلت جيشا في قوامه 80.000 رجل من المشاة وحوالي 4.000 فارس في بداية ربيع 149 ق.م[2] أعلن القرطاجيون استعدادهم لقبول كل شروط الرومان، وقدموا كضمان لذلك 300 شاب قرطاجي كرهائن، وبعد أن تسلم القنصلان 200.000 درع و 2.000 منجنيق وأحرقا المراكب القرطاجية ، صرحا بشرط روما بتخلي القرطاجيين عن مدينتهم، وبناء مدينة جديدة على بعد خمسة عشر كيلومترا من البحر، فرفض القرطاجيون هذا الشرط، وقرروا القتال، وتمكنوا بما بذلوه من جهود من الصمود في وجه قناصله سنتي 149 – 148ق.م، مما دفع روما إلى تعيين سكيبيو قنصلا لسنة 147ق.م، رغم صغر سنه، وتمكن من الاستيلاء على المدينة التي دمرها عن آخرها سنة 146ق.م،وباع سكانها في أسواق النخاسة، وبذلك تنطفئ هذه المدينة إلي حكم عليه بالإعدام بعد الحرب البونيقية الثانية، وتحولت أرضيها إلى مقاطعة رومانية سنة 146 ق.م،بعد إشعاع دام أزيد من ستة قرون ونصف(814– 146ق.م)[3].

II. الممالك الوطنية (نوميديا و موريطانيا)

1 – أصولها وتطورها

أ – أصولها :

أشار محمد الهادي حارش إلى صعوبة ضبط فترة فجر التاريخ التي تعود إليها مملكتا نوميديا و موريطانيا ، بحيث تحدثت عنهما النصوص الإغريقية و اللاتينية خلال الحرب البونيقية

[1] ماجد فخري، مسيرة الحضارة، قرطاج وروما، م 1، (د . ط) ، تر: شاكر مصطفى، الشركة العالمية للتوزيع والإعلان، (د . ب) ، ص 227 – 228.

[2] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 71 .

[3] شوقي خير الله ، المرجع السابق ، ص 249 .

الثانية ، و التي تسجل في نظر البعض دخول بلاد المغرب في التاريخ [1]. وهو بذلك يتفق مع محمد الصغير غانم وذلك في قوله :" لأن وجود سيرتا ذات العمق التاريخي كعاصمة للنوميديين الذي قد يلامس نهاية القرن الرابع للميلاد ..." [2]. ثم أضاف أن بعض الكتاب ذكروا لنا ملوكا ليبيين عاشوا قبل هذه الفترة ، الأكثر قدما منهم هو الملك هيرباص الذي تحدثت عنه الأسطورة و التي تعرضنا لها في تأسيس قرطاجة[3] .

ب– تطورها : في القرن الثالث قبل الميلاد ظهرت مملكتين كبيرتين هما : نوميديا وموريطانيا .

1 – مملكة نوميديا : انقسمت في ظروف غير معروفة إلى قسمين :

مملكة نوميديا الشرقية (ماسيليا) (massilya)

من الصعب تحديد ممتلكات القبائل الماسيلية للأسباب ذاتها أي عدم ورود ذكرها في الكتابات القديمة إلا عرضا مع عدم تحديد مجالها الجغرافي بصورة دقيقة ، نظرا لعدم اهتمام الرومان بالحدود الطبيعية للشعوب الخاضعة لسلطتهم ، و يبدو أنهم استفادوا من عدم الاستقرار في الحدود بتسييرها حسب ما تقتضيه مصلحتهم أو الأوضاع العسكرية ، فكثيرا ما كانوا يعدلون الحدود وفقا لولاء السكان لهم أو عدائهم ، فكانوا يضمون أراضي المعادين للموالين لهم ،ونأخذ على سبيل المثال استرابون الذي تحدث بخلفية تنم عن حقد دفين للسكان المحليين أي المغاربة، وهي سمة تميز بها المؤرخون الإغريق و الرومان حيث كانوا يعادون الشعوب التي ليست من جنسيتهم وملتهم ، حيث أورد المؤرخون المحدثون وحتى القدامى منهم بخصوص ماسيليا أو نوميديا الشرقية خلال القرن الرابع قبل الميلاد وبداية القرن الثالث بأنها كانت تضم مدنا ذات طابع زراعي مثل مدن :

[1] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 97 .

[2] محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ،المرجع السابق ، ص 87 .

[3] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 97 .

دوقة[1] ، مكثر بتونس [2] و تبسة ، سيرتا بالجزائر [3]. وقد اعتبر بعض المؤرخين المعاصرين ايليماس[4] كأقدم ملوك الماسيل وذلك استنادا على قبر مدغاسن Medracen[5] الذي ينسب إلى هذه القبائل والذي يؤرخ ما بين أواخر القرن الرابع و أوائل القرن الثالث ، باعتبار أن الأسرة التي ينتمي إليها غايا وابنه ماسنيسا (**Massinissa**) ، وقد كانت حدودها في الشرق الجزائري ممتدة بين الأراضي القرطاجية في الشرق و مملكة المازيسيل في الغرب أما في الجنوب فكان راجعا لعلاقة قبائل الجيتول بملوكها و نفوذهم على قبائل الرحل في بداية الحرب البونيقية كانت سلطة الماسيل تمتد على الأوراس و الشرق القسنطيني والظهر التونسية ، والجزء الأكبر من مجردة الوسطى ، وكذا أراضي الاستبس التي تحاذي السيرت الصغرى في حدود أراضي الجرامنت ، وقد استطاع ماسينيسا توحيد ماسيل و الماسيسيل تحت شعار " إفريقيا للأفارقة" و أعاد بذلك استرجاع الوحدة السياسية لنوميديا الممتدة من واد ملوية غربا إلى السرت الكبير شرقا . بعد وفاة ماسينيسا سنة 148 ق.م تاركا وراءه ثلاثة أبناء وهم مسطنبعل و جلوسن و مكوسن الذين تقاسموا السلطة بحيث تقلد مكسون التنفيذية و جلوسن العسكرية و مسطنبعل القضائية[6]. و كان لموسكن ابنان وهما هيمصال الأول و أدهم بعل و لجلوسن ابن واحد ماسيقا أما مسطنبعل فخلف يوغرطة وجودا [7]، إلا أن الإخوة ثلاثة لم يتفقوا فيما بينهم و اتهم مكسون

---

[1] مدينة دوقة : هي من أهم المدن الداخلية و قد اقترن اسمها بالملك (ايليماس) كما وردت الإشارة إليها في الوثائق الكتابية والأثرية ، وتعتبر من المدن الماسيلية العائدة إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ، وكانت ذات طابع زراعي رعوي، لمزيد من المعلومات انظر : محمد الصغير غانم : المملكة النوميدية و الحضارة البونية ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2006 ، ص 112 .

[2] مكثر : هي مدينة نوميدية تقع على بعد 150 كلم جنوب غرب مدينة قرطاجة . محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، المرجع السابق ، ص 57 .

[3] جمال مسرحي ، نفسه ، ص 10 .

[4] ايليماس : ذكر ديودور الصقلي اسم ملك ليبي اليمار أو ايليماس الذي من المحتمل أن تكون عاصمة بلاده هي دوقة ولم تكن خاضعة للحكم القرطاجي في ذلك الوقت . لمزيد من المعلومات انظر فتيحة فرحاتي ، المرجع السابق ، ص 44.

[5] مدغاسن: هو ضريح نوميدي يعد كأقدم نموذج للعمارة النوميدية يقع ببلدية بومية يبعد 35 كلم شمال شرق باتنة ، لمزيد من المعلومات انظر: حسينة عيشوش ، مقارنة بين ضريح المدغاسن و الضريح الملكي الموريطاني من خلال الأبحاث والدراسات، (د . ط)،(د . د) ، (د . ب) ،(د. س) ، ص 35 .

[6] محمد الهادي حارش ، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة ، (د .ط) ، دار هومه، الجزائر ، 2011 ، ص ص 232 – 234 .

[7] محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية ، ص 56 .

من طرف أخويه بالولاء الأعمى للرومان وبعد عامين توفي الأخوين بطريقة غامضة ويقول سالوست بأن سبب موتهما إصابتهما بمرض وبهذا انفرد مكسون بالحكم سنة 146 ق. م وكان مواليا للرومان طيلة فترة حكمه وبعد وفاته سنة 118 ق.م اضطربت الأوضاع بين أحفاد مسطنبعل و جلوسن ومكوسن و اسند الحكم إلى ابنيه هيمصال الأول و أدهم بعل و ابن أخيه يوغرطة الذي يكون ابن مسطنبعل وبعد هذه الفترة تأزمت الأوضاع في نوميديا إلى غاية الاحتلال الروماني[1].

مملكة نوميديا الغربية (مازيسيليا) (Masacayle)لم تشير المصادر التاريخية القديمة بوضوح المازيسيلية إلا في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ، حيث برزت الدولة النوميدية الغربية كقوة هامة في بلاد المغرب القديم ، في التطورات التي عاشتها المنطقة في تلك الفترة ، و الصراع الدائر بين قرطاجة و الرومان ، لاسيما خلال فترة الحرب البونية الثانية و ذلك بفضل شخصية الملك سيفاكس الذي تولى الحكم بالمملكة في الفترة.[2]

أما فيما يتعلق بالحدود الجغرافية للمملكة النوميدية الغربية أو قبائل المازيسيل فيصعب تحديدها بدقة نظرا لندرة المصادر التي تؤكد وتثبت موقع تلك الحدود ، إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار تمركز القبائل التي تتشكل منها . كما يحدد استرابون أراضي قبائل المازيسيل بأنها تمتد من حدود قبائل المور غربا ، أي أخذ مصب نهر الملوشة (الملوية) كمعلم للحدود الغربية كما يشير إليه " بلين القديم" " **نهر الملوشة يفصل بين مملكة بوكوس و المازيسيل**" [3]. في حين تنتهي حدودها الشرقية عند رأس تريتون(بوقرعون) (CapTretum)، كما قدر طول الساحل المازيسيلي بـ 6000 ستاديوم. أما شارل أندري جوليان حدد مملكة مازيسولة ،هذه المدينة الجاثمة على نجد صخري و المحاطة بمنحدرات وعرة يتجاوز علوها 100متر و يجري من تحتها نهر المساقة (الرمل) في خور

[1] فتيحة فرحاتي ، المرجع السابق ، ص ص 151– 153 .

[2] لقد ورد اسم سفاكس في النصوص القديمة وتصفه تلك النصوص بكونه يتميز باتزان الشخصية وسداد الرأي وتغليب العقل والحكمة في العديد من المواقف وورد اسمه في النقوش البونية على الشكل التالي : (س ف ق هـ م م ل ك ت) وتعني العبارة سيفاكس الملك أو مملكة سيفاكس . لمزيد من المعلومات أنظر : محمد الصغير غانم ، الملك سيفاكس والكيان السياسي النوميدي (مجلة التراث) ، ع 9 ، مطبعة الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1997 ، ص 13 .

[3] جمال مسرحي ، المرجع السابق ، ص ص7 – 8 .

جوانبه وعرة أيضا . وكان القسم المجاور لموريطانيا صالحا لزراعة الحبوب.[1] هذا عن الحدود الشمالية أما بالنسبة للحدود باتجاه المناطق الداخلية فلم تحدد بصفة دقيقة ، سواء أكان ذلك أثناء الفترة السابقة للاحتلال الروماني أو بعدها . وقد يعزى الاختلاف بين المؤرخين في كيفية تحديد الحدود الداخلية للممالك النوميدية إلى الغموض الناجم عن عدم الإشارة إليها في المصادر التاريخية القديمة ، أو لعدم الاهتمام بها لقلة الأحداث المرتبطة بالممالك النوميدية[2] . ولكن ما يبدو أن أراضي المازيسيل باتجاه الجنوب تنتهي عند قبائل الجيتول القاطنة جنوب مملكتي المازيسيل و الماسيل . تجدر الإشارة إلى أن قبائل المازيسيل استحوذت على مساحة كبيرة مقارنة مع قبائل الماسيل وقد يفسر ذلك كنتيجة للحروب التي خاضها الملك سيفاكس للاستيلاء على الماسيل سعيا منه لتوحيد نوميديا بشطريها الشرقي والغربي . ولقد استطاع الملك سيفاكس بحنكته وذكائه على غرار شيوخ القبائل النوميدية أن يجمع شمل المازيسيل **(عاصمتها سيقا)** و الماسيل **(عاصمتها سيرتا)** في كيان سياسي واحد أي توحيد نوميديا وذلك نهاية القرن الثالث قبل الميلاد[3] .

2– مملكة موريطانيا : ذكر محمد الهادي حارش أن الآثار والنصوص ترجع أصول مملكة موريطانيا إلى القرن الرابع قبل الميلاد عندما استعان حنون بأحد الملوك في محاولته للاستيلاء على قرطاجة ، وبقايا ضريح سيدي سليمان الذي يؤرخ أيضا بأواخر القرن الرابع و أوائل القرن الثالث . وفي أواخر القرن الثالث ورد ذكر أحد ملوكها منهم : باغا معاصر وحليف ماسنيسا خلال الحرب البونيقية الثانية ، وقد عرف تاريخ هذه المملكة انقطاع مدة قرن تقريبا ، وتعود مع سالوسيت الذي يتحدث عن الملك بوخوس الذي يخضع له كل الموريطانيين و قد امتدت حدودها مابين المحيط إلى الغرب وأعمدة هرقل إلى الشمال و وادي الملوية إلى الشرق أما حدودها الجنوبية فكانت متغيرة[4].

[1] شارل أندريه جوليان ، المرجع السابق ، ص 132 .

[2] محمد البشير شنيتي ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ، المرجع السابق ، ص 19 .

[3] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 98 .

[4] المرجع نفسه ، ص 102 .

وتجدر بنا إلى التوسعات التي قامت بها مملكة موريطانيا على حساب نوميديا، المرة الأولى بعد حرب يوغرطة [1] ، في عهد بوخوس، حيث توسع شرقا ونال جزءا من بلاد الماسيسيل كمكافئة له مقابل مساعدته للرومان . والثانية بعد انهزام يوبا الأول في معركة تابسوس 46 ق.م [2].

2 – المظاهر الحضارية للممالك الوطنية

أ – المظهر السياسي:

1 – نظام الحكم : قبل توحيد نوميديا التي كانت منقسمة إلى شطرين شرقي و غربي على يد الملك ماسينيسا حيث عرفت الحكم الملكي الوراثي لكلا المملكتين وتجدر بنا الإشارة أن الحدود بينهما كانت بين المد والجزر لكن يمكن تقسيمها إلى طريقتين :

الطريقة الأولى : وهي قبل عهد ماسينيسا (القرن الثالث ق.م) حيث يتقلد الحكم الفرد الذي يكون هو الأكبر في العائلة وبعد وفاته ينتقل الحكم إلى الفرد الثاني والذي يكون أكبر سنا في الأسرة الحاكمة ويكون الجد مشترك ومثال ذلك بعد وفاة غايا 206 ق.م خلفه أخاه لأنه أكبر سنا من ماسينيسا و هو ما طبق في نوميديا الغربية وموريطانيا [3].

أما الطريقة الثانية : بعد وفاة ماسينيسا لم يسر النظام كما هو متعارف عليه إذ لم يخلفه ابنه الأكبر في الأسرة بل انتقل الحكم إلى أبنائه الثلاثة – كما ورد ذكره سابقا – و ورد في النقوش بأن الملك في نوميديا يحمل اسم إقليد [4] وهو من يرأس القبيلة ويتمتع بالسلطة وتمركزت قصور الملوك في العواصم وقد شكلت المساحة الشاسعة لكلا المملكتين عائق وهذا لصعوبة التواصل والتباين الواضح بين طبقات المجتمع خاصة و أن معظمهم بدو رحل [5]. وهو بذلك يتفق في رأيه مع الدكتور محمد الصغير غانم في تحليله للنقيشة التي تشير إلى اسم

الملك (س ن س ن) ماسينيسا [1]

---

[1] يوغرطة : يعني اسمه القوة أو المناعة في اللهجة الأوراسية "يقور" وهو ابن مسطنبعل ، كان يحمل شعار إفريقيا للإفريقيين. لمزيد من المعلومات ، انظر : محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص 87 .

[2] المرجع نفسه ، ص 87 .

[3] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 104 .

[4] إقليد : كان الملك يحمل في اللغة الليبية اسم الإقليد .

[5] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 106 .

2- نظم الإدارة : و قد أشار الدكتور محمد الهادي حارش نقلا عن الدكتور محمد حسين فنطر افتراضه وجود ثلاثة نظم إدارية : – الإدارة المركزية بالعاصمة سيرتا – الإدارة القبلية بحيث يوجد على رأس كل قبيلة رئيس – إدارة المدن وتتمتع بالاستقلالية في تسيير مصالحها [2] .

و وجدت العديد من النصوص التي تتحدث عن ولاة الملك يوغرطة و هذا ما يؤكد وجود هاته الأقاليم التي تخضع للإدارة المركزية أما النظام المالي فكانت الضرائب تعتبر المصدر المالي للمملكة وكانت الضريبة تسير وفق نمطين : الأول ، يخص سكان الأرياف الذين يدفعون عشر أو خمس الإنتاج وكذا الضريبة التي تدفع على المواشي ، أما النمط الثاني خاص بسكان المدن الذين يدفعون الضريبة نقدا [3]. ولابد لضمان السير الحسن لأمور المملكة في البداية عبارة على وحدات عسكرية تجمع من كل القبائل في وقت الحرب وعند انتهائها يعود كل جندي إلى قبيلته [4] بمرور الزمن اهتم الملوك بالجانب العسكري وأنشئوا جيش منظم ومدرب ، على نذكر الملك سيفاكس الذي استعان بالرومان في التدريب و أدخل حرب المشاة كأسلوب جديد من عند الرومان بحيث أن النوميد أتقنوا حرب الفرسان وحرب العصابات . كما اتفق الدكتور محمد الهادي حارش مع الدكتور محمد البشير شنيتي في هذه النقطة حيث أشاد بدور ماسينيسا في تطوير الجيش لأنه قائدا في جيش والده الذي أرسله للقتال إلى جانب الرومان مع قرطاجة ، وكان على رأس الفرسان النوميديين[5]. وبعد توليه العرش عمل على تكوين جيش نظامي مكون من القبائل الموالية له والذي اقتصر دوره في البداية المحافظة على العرش ضد معارضيه ،وبعد تحقيق رغبته سخره في العمل على استقرار البدو[6].

وقد قدم الدكتور محمد الهادي حارش تشكيلة الجيش النوميدي كالتالي :

- الشرطة : وجدت على نوعين فرق تظهر في المدن بهدف ضمان الاستقرار وأخرى وقت الحرب مهمتها الدفاع عنها وقت الحرب .

---

[1] للإطلاع أكثر : انظر محمد الصغير غانم ، نصوص بونية – ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم ، (د.ط) ، دار الهدى ، عين مليلة ،الجزائر ، 2012 ، ص 72 .

[2] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي المرجع السابق ، ص 107 .

[3] المرجع نفسه ، ص 111 .

[4] فتيحة فرحاتي ، المرجع السابق ، ص 213 .

[5] محمد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر ، (د.ط) ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2003 ، ص 32 .

[6] محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية و الحضارة البونية ، المرجع السابق ، ص 123 .

- الجيش الدائم أو النظامي : يتألف من الحرس الملكي وحاميات في مختلف المواقع وبه نسبة الفرسان أكبر من نسبة المشاة .
- وحدات الاحتياط : مؤقتة تجند عند اندلاع الحرب ، وتسرح بمجرد انتهائها.
- المرتزقة : ظهرت بداية من حكم يوغرطة الذي استعان الليقوريين و التراقيين و الغاليين.
- البحرية : بدأ الاهتمام بها في عهد ماسينيسا بحيث وجدت نصوص تتحدث عن الأسطول البحري الضخم الذي شكله هذا الملك ودوره في التجارة وصد الأعداء[1].

أما الأسلحة التي استخدمها النوميديون للدفاع عن أنفسهم فمنها الدفاعية والهجومية ، نذكر منها : الرماح – الدروع – السيف القصير – الفؤوس ، ومن الحيوانات المستعملة نجد الخيول – الفيلة – الأحصنة[2].

ب– الحياة الاقتصادية :

1– الزراعة والرعي : كان للنشاط الزراعي في نوميديا أهمية كبيرة بحيث ساهمت بشكل واضح في النهوض باقتصادها خاصة و أنها تقع في منطقة معظم أرضيها صالحة للزراعة إلا أن النشاط الرعوي سبق الحياة الزراعية وظل لوقت طويل يحظى بمكانة أكثر اهتماما من الفلاحة لأن النوميديين مجتمعات رعوية[3]. وقد اعتبر العديد من المؤرخين بأن ماسينيسا له الفضل في إدخال الزراعة إلى نوميديا التي كان لسكانها قبل فترة حكمه يعتمدون على حياة التنقل و اقتناء النبات وذهب استرابون بقوله بأن ماسينيسا جعل من النوميد مزارعين وأصحاب مجتمع حضاري أما بوليبيوس فيرى بأن قبل ماسينيسا عاقرة من الإنتاج الزراعي وليس لها أي أهمية[4]. إلا أن الآثار التي تم الحصول عليها تثبت عكس ذلك فقد عثر في وسط الصحراء على حبتين من القمح وتعود إلى سنة 6100 قبل الميلاد وفترة حكم ماسينيسا (203 – 148 ق.م) ، كما أن الرسومات الجدارية في الطاسيلي تشير إلى عملية الزراعة والحصاد[5] . إلا أن هذا القول لا ينفي بأنه كانت لماسينيسا البصمة الواضحة و المؤثرة في تطوير الزراعة وتمكنه من جعل النوميديين يصبون جل اهتمامهم بخدمة الأرض و الاتجاه إلى حياة الاستقرار بدل التنقل ، وقد اثبت قزال بأن النوميد عرفوا

[1] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 114 .

[2] محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، المرجع السابق ، ص 218 .

[3] محمد العربي عقون ، المرجع السابق ، ص 25 .

[4] محمد الهادي حارش ، التطور السياسي و الاقتصادي ، المرجع السابق ، ص 103 .

[5] فتيحة فرحاتي ، المرجع السابق ، ص 231 .

الزراعة قبل مجيء الفينيقيين[1] . ومن أهم المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها زراعة الحبوب فباستلام الملك ماسينيسا لمقاليد الحكم وجه اهتمامه للزراعة وذلك ردا على بعض المشككين في أن هذه الأرض غير قادرة على الإنتاج و العطاء فقام باستصلاح الأراضي الشاسعة و التوعية بأهمية هذا النشاط و تشجيعهم و بهذا أصبحت نوميديا تنتج القمح و الشعير بكميات هائلة[2]. و لم يقتصر المحصول على الحبوب فقط بل أولو أهمية للبقول و المتمثلة في كل من العدس ، الفول و الحمص إضافة على ذلك الخضر بشتى أنواعها سواء البصل أو الثوم أو الخردل أو القرع وغيره و اشتهرت كل من قيرطا و دوقة و تبسة بهذه المنتجات[3]. كما كان للأشجار المثمرة نصيب في هذا النشاط حيث عرفوا زراعة الأشجار كالتين والزيتون والتي ذكرت في القرآن الكريم قال الله تعالى: {{ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ...}}[4] لما لها فائدة و الكروم و اللوز و الرومان و التفاح [5]، علاوة على النخيل والعنب و الأجاص[6]. وعلى غرار شعوب وحضارات العالم القديم استخدم وسائل مختلفة مثل مثل المحراث المصنوع من الخشب و المجرفة و الفأس التي مازلت ليومنا هذا في بعض المناطق الزراعية[7]. أما الوسيلة الرابعة المتمثلة في المنجل الذي أستخدم في موسم الحصاد، أما عملية الدرس و المقصود بها تنقية الحب من السيقان فقد استعملت الحيوانات كالثيران أو العربة البونيقية التي تتألف من عجلتين مصنوعتين من الخشب و تكون مسننة بالحديد و يتم تدويرها على المحصول وبهذا تصبح الحبوب منفصلة على سيقانها[8]. كما استخدموا المخازن للفائض من الإنتاج الإنتاج لوفرته و أدوات الطحن مثل : المهراس المصنوع من الخشب أو من الحجارة و كذا الطاحونة اليدوية و التي مازالت تستخدم في بعض المناطق إلى يومنا هذا[9] .

أما الثروة الحيوانية فقد أشارت المصادر المعاصرة إلى اهتمام ملوك نوميديا بتربية الخيول ، كما اعتنوا بتربية المواشي كالأغنام والأبقار والماعز باعتبار المنطقة رعوية – كما سلف ذكره –

---

[1] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 103 .

[2] فتيحة فرحاتي ، المرجع السابق ، ص 237 .

[3] محمد الهادي حارش ، التطور السياسي و الاقتصادي ، المرجع السابق ، ص 119 .

[4] الآية 01 من سورة التين

[5] محمد الهادي حارش ، دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 100 .

[6] محمد العربي عقون ، المرجع السابق ، ص 33 .

[7] فتيحة فرحاتي ، المرجع السابق ، ص 238 .

[8] محمد الهادي حارش ، التطور السياسي و الاقتصادي ، المرجع السابق ، ص 110 .

[9] المرجع نفسه ، ص 112.

بالإضافة إلى البغال و الحمير وتربية الدواجن التي وفرت اللحوم البيضاء والبيض و الاستفادة من فضلاتها كسماد لتخصيب التربة . هذا زيادة على تربية الوز والبط و النحل الذي يعتبر إنتاجه من أجود أنواع العسل و أوفرها و هذا استنادا على رواية هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد[1] .و من الملاحظ أن الدراسة التي قدمها الدكتور محمد العربي عقون تتطابق مع دراسة الدكتور محمد الهادي حارش لكن ما يؤخذ على هذا المؤرخ الأخير عدم التطرق لأعمال العالم الزراعي القرطاجي (ماغون)التي كان لها الأثر البالغ على الزراعة في نوميديا بل وحتى على الرومان و الاستفادة منها في استصلاحاتهم الزراعية ، وهذا ما أكده أيضا محمد الصغير غانم في إشارته لترجمة أعماله إلى اللغة اللاتينية [2].

2 – الصناعة : بالرغم اهتمامات النوميد الزراعية والرعوية وما حققوه من إنتاج وفير إلا أن هذا لم يشغلهم على الاهتمام بالصناعة وهذا من أجل سد حاجياتهم و من أشهر الصناعات التي عرفوها نذكر :

- صناعة الملابس والحلي : دلت الآثار والرسومات على اللباس الذي كان يرتديه النوميدي المتكون من معطف و جبة تحتها سترة ، وتصنع أغلب الملابس الصوف ، ودلت الرسوم الصخرية على وجود البرنوس منذ القدم ، كما كانت صناعة الحلي شائعة وهي من الفضة غالبا ومثال ذلك حلية و تعويذة الإلهة البربرية تانيت[3].
- صناعة الفخار : قسم كامبس الفخار الإفريقي إلى : فخار نذري للأغراض الدينية وفخار منزلي للأغراض العائلية . أما غزال فقسم الفخار الإفريقي حسب اللون والزخارف إلى : فخار غير مزخرف كالقدور و الصحون و المصابيح ، فخار مصبوغ ومزخرف و يستعمل على الخصوص اللونان الأسود و الأحمر ، وهو ما يميز الزخارف الفخارية إلى الآن في جهة القبائل .
- صناعة الأسلحة: استعمل النوميد العديد من أنواع الأسلحة التي تم اكتشافها عبر التاريخ و نذكر: الرمح ويصنع من القصب أو من المعادن و يستعمل في الصيد و الحرب و مثال ذلك ما عثر عليه في النصب الليبية (نصب السوامع) الذي يعود إلى الفترة مابين القرن

[1] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 122.

[2] للإطلاع أكثر ، انظر : محمد العربي عقون ، المرجع السابق ، ص 97 . أو محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، المرجع السابق ص 180 .

[3] محمد الهادي حارش ، التطور السياسي و الإقتصادي ، المرجع السابق ، ص35 .

الثالث إلى القرن الرابع ق.م و أهم سلاح استعمله المور [1] ، الملاحظ وجود خطأ في وضع الدكتور محمد العربي عقون لهذه الفترة بحيث أنه من المنطقي وبحكم أن الفترة ما قبل الميلاد تكون مابين القرن الرابع و القرن الثالث قبل الميلاد . و السيف والذي اقتصر استخدمه إلا على فرق النخبة من الفرسان و المشاة أو طبقة القادة مثل الملك يوغرطة كما جاء على لسان سالوسيت " في تلك الأثناء أشهر يوغرطة سيفه و هو يقطر بدماء مشاتنا الذين قتلهم في المعركة " ، وتعرف هذه الأسلحة بأنها هجومية و بخصوص الأسلحة الدفاعية نذكر الخوذة ، الدرع ، واقي الصدر[2] .

و كما عرف النوميد صناعات أخرى كصناعة النقود (العملة) مثل ما قام سيفاكس وماسينيسا ، و من الصناعات أيضا الموائد والعسل والجبن والزبدة[3] .

2 – التجارة : نظرا لتعدد السلع أقيمت الأسواق و نقسم هذا النشاط إلى تجارة داخلية و تجارة خارجية و تشير المصادر للأخيرة أكثر من الأولى وهي كالآتي :

الداخلية: و عرفت عدة أسواق مثل : سوق باجة للحبوب وسوق قيرطا بالإضافة إلى سيرتا و بتكوت بباتنة ، و انقسمت الأسواق في نوميديا إلى ثلاثة أصناف : الأول للرعاة الذين يعرضون الأصواف و الجلود وذلك مقابل الحبوب وتسمى بالمقايضة أو عن طريق الدفع بالعملة . والثاني: هم الحرفيين الذين يقصدون الأسواق من أجل بيع بعض الوسائل الزراعية و المتمثلة في المحراث والمنجل والفؤوس وغيره . أما الصنف الثالث فيتكون من المزارعين الذين يقدمون الحبوب و الخضروات للسوق و بهذا تلتقي الأصناف و يأخذ كل صنف ما يحتاجه[4] .

الخارجية :إن الامتداد الواسع للمملكة النوميدية على طول ساحل حوض البحر المتوسط و احتوائها على مدن كبيرة يتوافد إليها التجار أما عمدا أو مرورا بها لأخذ قسطا من راحة و إكمال سبيلهم فكانت بمثابة البوابة المفتوحة على باقي الحضارات المجاورة إضافة على ذلك أن نوميديا ونتيجة الفائض في الثروات كانت بحاجة لتصدير منتجاتها و استيراد السلع التي تفتقر إليها . وتمثلت الصادرات في ما يلي : القمح بالدرجة الأولى و الخيول ، الأسود و الفهود ، بالإضافة إلى الأبقار و المواشي و كذلك المنتجات الغذائية مثل العسل و الزيتون و

[1] محمد العربي عقون ، المرجع السابق ، ص 36 .

[2] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 127 .

[3] محمد الهادي حارش ، التطور السياسي و الاقتصادي ، المرجع السابق ، ص 146 .

[4] المرجع نفسه ، ص 160 .

الكروم و العنب والزبيب .أما الواردات فلم تكن محطة اهتمام في المصادر التاريخية وقد شملت : المصنوعات الفخارية كالمصابيح و الآجر و الأنابيب[1] .

ج– الحياة الاجتماعية والفكرية :

1 – الاجتماعية :تعتبر الأسرةهي الخلية الأساسية في بناء المجتمع النوميدي الذي ترجع فيها السلطة للأب[2] ، و ينسب الأبناء لآبائهم فقد عثر على نقوش بونية و لوبية الجنائزية الإهدائية على اسم المتوفى واسم أبيه ، و رابطة الزواج تقوم الرجل و المرأة حسب ما يقره المعبد و قانون القبيلة من حيث الاعتراف بالتقاليد المتبعة في إتمام مراسيم الزواج كما وجد الطلاق لكن كان قليلا ، كما وجدت الأسرة المختلطة و تنشأ من الزواج المختلط أو تعدد الزوجات [3]. كما عرف المجتمع النوميدي الوراثة و ظاهرة التبني و كانت الوراثة للأبناء بالتبني و الأصلاب وعرف النوميديون التبني وشاع بين مختلف طبقات المجتمع وخاصة تبني العم أبناء أخيه ، كتبني مكوسن لابن أخيه يوغرطة[4].

كما حظيت المرأة بمكانة مرموقة في المجتمع و كان لها دورا فعالا فهي ربة الأسرة تتولى الإنجاب وتربية الأطفال و القيام بشؤون الأسرة ثم العمل في الرعي والزراعة ، كما برعت في صناعة الأدوات الفخارية و التفنن في زخرفتها و صناعة الأنسجة بأنواعها [5]. و قد أكد محمد الصغير غانم على مكانة المرأة النوميدية معتمدا على أورده المؤرخ جزيل و ديودور الصقلي بالإضافة لهيرودوت خاصة في مشاركة المرأة في الحرب و الحكم و السياسة وقدم أمثلة عن ذلك منها : والدة ماسينيسا التي كانت تتعاطى العرافة والأميرة القرطاجية سوفونيسبة [6]، في حين نلاحظ أن محمد الهادي حارش لم يتعرض للجانب الاجتماعي في نوميديا وذلك عكس محمد الصغير غانم الذي درسه بأدق تفاصيله .

---

[1] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 132 .

[2] دنيس يولم ، الحضارات الإفريقية ، (د .ط) تر : علي شاهين ، منشورات مكتبة دار الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1974 ، ص 134

[3] مها عيساوي ، المرجع السابق ، ص 275 .

[4] المرجع نفسه ، ص 279 .

[5] محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، المرجع السابق ، ص209 .

[6] سوفونيسبة (201– 203 ق.م): هي أميرة قرطاجية تنتمي إلى عائلة ثرية لذلك كان حضور سياسي ، كان أبوها عزر بعل الذي كان له اتصال بالملك سيفاقس وقد زوجها له . لمزيد من المعلومات ، انظر : محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، المرجع السابق ، ص 211 .

ولقد عرف المجتمع النوميدي مجموعة من العادات و التقاليد و ممارسة عدة طقوس و من أهمها: التطير و هي الاعتقاد بالأرواح الشريرة التي تتمثل في العيون الشريرة التي كانت تسلط على الإنسان نفسه فتصيبه بمكروه في جسمه أو ماله ، و لذلك كان يتقي شرها بواسطة الرسم و الوشم و كل الأشكال الأخرى مثل اليد بأصابعها الخمس و التمائم التي تعلق في العنق ، إضافة إلى نجمة الخماسية أو الزهرة ذات الأجفان الأربعة أو الثمانية و التي غالبا ما ترسم في وسطها عين . ومن أطعمتهم الكسكسي و الخبز الذي يصنع من القمح ، كما كانوا يشربون اللبن[1] .

2 – الفكرية :

- **اللغة :** أشار محمد العربي عقون إلى أن اتساع الرقعة الجغرافية تسبب في ظهور عدة لهجات لها خصوصياتها ولكن تتحدر جميعها من اللغة الليبية التي تعد أم اللهجات البربرية و تعتبر من اللغات فقد كانت معاصرة للغات قوية مثل الفرعونية و اللاتينية اللتين كانتا تتمتعان بالحماية في كنف القوة السياسية ومع ذلك اندثرتا اليوم ، بينما نجت اللغة الليبية التي فقدت السند السياسي منذ زوال المملكة النوميدية ، و في هذا المجال استخلص الدارسون أن لهجات اللغة الليبية المستمرة إلى الآن وجدت سندها في العائلة و التضاريس الجغرافية ولذلك استمرت على الخصوص في الخصوص في المناطق الجبلية [2]. ثم أضاف أنه لا توجد مؤشرات عن بدايات هذه اللهجات أهي قديمة منذ الفترة الرومانية أم أحدث ، ليقدم أهم هذه اللهجات وهي : السيوية، النفوسية و رغمّة ، الزناتية ، لهجة كتامة ، الصنهاجية، المصمودية[3].
- **الكتابة :** كانت توجد في بلاد المغرب كتابة خاصة ، استخدمت من طرف الممالك المحلية كلها ، كما استخدمها المواطنون ، وهي تحتوي على ثلاثة وعشرون حرفا و تعرف بالكتابة الليبية و أحيانا النوميدية ، ومنها اشتقت الكتابة التيفيناغية. و يعد نص دوقة المزدوج بونيقي – ليبي ، أول وثيقة ليبية مؤرخة بدقة ، وهي عبارة عن كلمة إهدائية من معبد أقيم لماسينيسا في السنة العاشرة من حكم ابنه مكوسن ، أي سنة 139 ق.م كما عثر على نقش

[1] محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، المرجع السابق ، ص 212 .

[2] محمد العربي عقون ، المرجع السابق ، ص 206 .

[3] للإطلاع أكثر على هذه اللهجات . انظر : محمد العربي عقون ، نفسه ، ص ص 206– 207 .

مزدوج آخر في نفس المنطقة يخلد إقامة ضريح قد يعود إلى نفس الفترة ، وكذا نصوص ليبية أخرى من نفس المنطقة مرتبة في خطوط أفقية[1].

د– الحياة الدينية والعمرانية :

1– الدينية : عندما نحاول البحث في المعتقدات النوميدية نجد أنفسنا أمام أرضية من المعتقدات الليبية القديمة القائمة على الظواهر الطبيعية والزراعية والكوكبية مع عدد من المعبودات المحلية أضيف إليها فيما بعد مجموعة من الآلهة البونية وعلى الخصوص فيها آلهة الخصب. و في حديثه عن الجانب الديني في المغرب أكد محمد الهادي حارش أن المغاربة القدامى كانت لهم آلهتهم و طقوسهم الدينية حتى قبل قدوم الفينيقيين ، ولم تتغير إلا شكليا في العصور اللاحقة [2] . و في البداية سنتعرف عن أهم المعبودات المتمثلة في عبادة الحيوانات مثل : الكبش ، الثور ، الأسود، وعبادة قوى الطبيعة و تنقسم إلى قسمين : الأول عبادة الأشجار ، الحجارة ، الجبال و الكهوف و المغارات ، المنابع المائية .

القسم الثاني عبادة القوى الخفية و الكواكب وهي بدورها تنقسم إلى قسمين عبادة الجن عبادة الكواكب (الشمس–القمر)[3]. و سنتعرض فيما يلي لبعض لأهم المعبودات :

الالهة تانيت : عبدت كآلهة أم لها السيادة على العالم السفلي التي تسهر فيه على أرواح الموتى أثناء رحلتهم الطويلة مابين الأرض والسماء[4].

بعل حمون : تمسك بعبادته المجتمع النوميدي وذلك لوظيفته الأساسية ، و هو إله شمسي يتحكم في السحب والرعد والتساقط وخصوبة الأرض ، ثم السيطرة على الحياة الأخرى و كذا تجديد قوى الطبيعة ، وبذلك فهو يظهر في كثير من الأحيان على أساس أنه معبود زراعي (انظر: الشكل 3)[5].

---

[1] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص ص 133– 134 .

[2] المرجع نفسه ، ص 147 .

[3] محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، المرجع السابق ، ص ص 124– 145 .

[4] عبد الله زيتونة عطاء الله ، حسن الأخوص، النصب النذرية النوميدية المحفوظة بمتحف سيرتا بقسنطينة دراسة إحصائية تحليلية – 30 أنموذجا ، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، الجزائر ، 2016 – 2017 ، ص 18 .

[5] محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، المرجع السابق ، ص 151 .

ملقارت: وهو إله المدينة و قد عبد في البداية بمدينة صور بالساحل اللبناني ، وكانت طبيعته شمسية ثم أضيفت له الطبيعة البحرية[1] .

2– العمرانية : في الجانب العمراني تطرق محمد الهادي حارش إلى المشكلة التي تعترض الكتابة عليه و أرجع سبب ذلك أن العمارة الرومانية هي الطاغية لذا حجبت آثار ما قبل هذه الرومان و البحث عنها يستوجب التضحية بالآثار الرومانية و بحكم أغراض المدرسة الاستعمارية ظلت العمارة النوميدية مجهولة تقريبا ، لكن الآثار المتناثرة في بلاد المغرب القديم، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك وجود هذه العمارة التي تطورت محليا ، ويمكن أن نوجز في دراستنا هذه أهم النماذج المتبقية و التي في مجملها عبارة عن معابد و أضرحة ، و تقع خارج المدن وهو ما يفسر دوامها في وقت اندثرت فيه كل المباني الأخرى أو طمرت تحت المباني الرومانية وعليه يمكننا التعرف على أهمها :

- **المعابد :** معبد شمتو[2] ، وهو النموذج الوحيد للفترة النوميدية و معبد القليب .
- **الأضرحة الملكية النوميدية :** مثل مدغاسن ، قبر الرومية .
- **الأبراج الجنائزية الملكية النوميدية – الهيلينستية :**وتتمثل في ضريح صبراته ، برج سيقا، ضريح دوقا(انظر: الشكل 4) ، ضريح الخروب (انظر: الشكل 5) وفي الأخير أشار إلى أن أغلبية المباني الجنائزية للأهالي عائدة للعهد الروماني[3].

خلاصة لما تعرضنا له في نهاية هذا الفصل و بالرغم من تضارب المعلومات نقدم مقارنة لكتابات ا لمؤرخين المغاربة المحدثين بداية بمحمد الصغير غانم الذي يشهد له بعمق التصور و نقل الأحداث بكل أمانة و رزانة الذي أشار إلى إنشاء مدينة قرطاجة التي تعتبر من أهم المستوطنات الفينيقية في وسط السواحل المغاربية ، وبالضبط في خليج شمال تونس سنة 814 ق . م تغيرت زعامة المدن الفينيقية بحيث حلت مدينة قرطاجة محل صور ، وبذلك أخذت زعامة المستوطنات الفينيقية القرطاجية في الحوض الغربي للبحر المتوسط وهو بذلك يؤكد فكرة الدكتور محمد فنطر (وهو من الكبار المختصين في اللغة و التراث البوني

[1] محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، المرجع السابق ، ص 156 .

[2] معبد شمتو: قام ببنائه الملك مكوسن على عشرة مراحل فوق قمة جبل المرمر . لمزيد من المعلومات ، انظر : محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 153 .

[3] المرجع نفسه. ص154.

القرطاجي على المستوى العالم العربي قاطبة) و قد أيده في ذلك الدكتور محمد الهادي حارش الذي قدم التطور الذي شهدته قرطاجة من مركز تجاري إلى قوة بحرية خلال القرن 5 ق. م .
وقد لعبت هذه الكتابات أدوار كبيرة في كشف بعض الحقائق التاريخية خاصة و أن كتابات المؤرخين الغربيين حول تاريخ بلاد المغرب القديم تتميز ببعض التحيز و التجاهل يمكن أن نجملها فيما يلي :

- استعمل المؤرخون الغربيون مصطلحات لا علاقة لها بالنزاهة العلمية و الموضوعية التي يجب أن يتسم بها المؤرخ و مثال ذلك لفظة بربر .
- اعتبار أهل المغرب بأنه شعب لم يكن له في القديم أي كيان ووحدة سياسية تجمعه و هذا يعود على حسب اعتقادهم إلى العوامل الجغرافية والطبيعية التي تحول دون تحقيق الوحدة بينما حسب المعطيات التاريخية فإن الوحدة تحققت في عهد ماسينيسا .
- من عيوب الدراسات أنها لم تستطع أن تسير أغوار تاريخنا من الناحية الاجتماعية و الاقتصادية و الحضارية ، و إلا كيف نفسر عدم تخصيص و لو فصل واحد لتاريخ بلاد المغرب القديم في تاريخ الحضارات العالم .

وهناك جانب آخر وهو وجود تفاهم كبير بين المؤرخين الغربيين القدماء و المعاصرين من ناحية نظرتهم إلى المغاربة القدماء أي الليبيين ، وهذه النظرة لها صبغة احتقار ، فمثلا الثورة التي قام بها المغاربة القدماء في صقلية ضد الأرستقراطية التي ماطلت في تأدية أجور النوميديين ، فقد تم نعت هؤلاء المغاربة بالمرتزقة [1] بكل بساطة وبجرّة قلم ، و استعمل هذا المصطلح ستيفان قزال و شارل أندري جوليان و غيرهما.

موجز الحديث فإن النظرة الاستعمارية لتاريخنا القديم في حاجة ماسة إلى إعادة نظر و تصحيح و غربلة ، وهو دور المؤرخين المغاربة المحدثين المختصون في تاريخ المغرب القديم حيث كانت دراستهم أكثر دقة و غزارة وساروا على المنهج العلمي في البحث التاريخي من ناحية المصادر و المراجع و غيره . كما درسوا المصادر و المراجع اللاتينية و البونية أي القرطاجية بشكل دقيق موضوعي, وقد ساعدهم في ذلك معرفتهم بلغة الفرنسية نطقا و كتابة و تمكنهم من اللغة اللاتينية أو البونية .

[1] شارل أندريه جوليان ، المرجع السابق ، ص ص 98 – 99 .

الفصل الثاني:

بلاد المغرب من بداية الإحتلال الروماني الى ظهور الوندال: (146 ق.م– 429 م)

المبحث الأول: مقاطعة افريقيا الرومانية

المبحث الثاني : بلاد المغرب تحت الحكم الروماني

الفصل الثاني: بلاد المغرب من بداية الاحتلال الروماني الى ظهور الوندال (146 – 429 م)

I. مقاطعة افريقيا الرومانية:

1) نوميديا :

كانت قرطاجنة حاضرة الولاية المسمّاة أفريقية الرومانية [1]. فبعد ان نصب ماسينيسا Massinissaعلى كامل نوميديا وهذا بعد انتصاره على سيفاكس في حرب فاصلة ب كيرطا 203 ق- م وبنص المعاهدة التي عقدت بعد معركة زاما استطاع ماسينيسا أن يسترجع أملاك أبيه وأسلافه ويضم إليها نوميديا الغربية لتصبح المنطقة الممتدة من نهر الملوية غربا إلى خليج السرت الكبير شرقا تابعة له ، وشهدت المنطقة خلال عهده ازدهارا واضح ا وكرس شعاره المشهور إفريقيا للأفارقة ليحاول بعد ذلك ضم قرطاج لولا تدخل روما . [2] وفي سنة 148 ق- م توفي ماسينيسا تارك هذه المملكة لأبنا ئه الثلاثة مسطنبعل Mastanabal وجلوسن Gulussaومكوسن Micipsa[3] وتفرعت السلطة إلى ثلاثة فمكوسن تقلد السلطة التنفيذية والدي حمل لقب حمملكت ويعني أمير إلا أنه غير مناسب لوظيفته لكونه أوكلت إليه السلطة التنفيذية وقد عثر على نقشان في تيجيبا وأخر في شرشال بأن ميكوسن حمل لقب منكد [4] . في المملكة وتبعا للنقش الموجود في تيجيبا فكلمة منكد تعني أن الملك هو الرئيس الأعلى وقائد الرؤساء المحليين والأمراء والقبائل والمدن . [5] وجلوسن السلطة العسكرية ومسطنبعل القضائية. [6] وكان لمكوسن ابنان وهما هيمصال الأول Hiempsal و أذربعل Adherbal ولجلوسن ابن

---

[1] محمد العيد بشي ،تاريخ مختصر لاهم حضارات الشرق القديمة دراسة حضارية في قبل التاريخ وعبر التاريخ ،(ب ط)، دار هومة ، الجزائر ، 2007، ص 183.

[2] محمد الهادي حارش ، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب، المرجع السابق ، ص ص 232- 234.

[3] محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق ، ص 56.

[4] كلمة منكد تعني الوظيفة العالية ، انظر :فتيحة فرحاتي، المرجع السابق ، ص199.

[5] فتيحة فرحاتي ، المرجع السابق، ص ص 198- 199.

[6] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي القديم، المرجع السابق ، ص 105.

واحد ماسيقا أما مسطنبعل فخلف يوغرطة وجودا [1] إلا أن الإخوة الثلاثة لم يتفقوا فيما بينهم واتهم ميكوسن من طرف أخويه بالولاء الأعمى للرومان وبعد عامين توفي الأخوان بطريقة غامضة ويقول سالوست بأن سبب الموت هو اصابتهما بمرض وبهذا انفرد ميكوسن بالحكم سنة 146 ق- م وكان مواليا للرومان طيلة فترة حكمه وبعد وفاته سنة 118 قبل الميلاد اضطربت الأوضاع بين أحفاد مسطنبعل وجلوسن ومكوسن واسند الحكم إلى ابنيه هيمصال الأول و أذربعل وابن أخيه يوغرط ة Jugurtha ابن مسطنبعل [2] وبعد هذه الفترة تأزمت الأوضاع في نوميديا إلى غاية الإحتلال الروماني 49ق م.

وافترض محمد فنطر أنه وجدت ثلاثة نظم إدارية الأولى وتمثلت في الإدارة المركزية ومركزها بالعاصمة والثانية هي الإدارة القبلية فعلى رأس كل قبيلة رئيس ويحصل على سلطته إما من القبيلة أو أن الملك يعينه رئيسا لها أما الإدارة الثالثة وهي إدارة المدن والتي تتمتع بأستقلالية واسعه في تسير مصالحها .[3]

حارب يوغرطة حتى وفاته لإيقاف الزحف الروماني، وبدأت المناوشات بينه وبين الرومان عندما حاولوا تقسيم الدولة النوميدية إلى ثلاث دويلات، فقاومهم وانتصر عليهم سنة 116 ق م. ونجح في توحيد نوميديا، وأصبح حاكما لكيرطا سنة112 ق.م. لكن الرومان استعملوا ضده أسلوب المخادعة للتخلص منه وهكذا استعملوا صهره أي والد زوجته الذي توسط بين يوغرطة وقادة روما ولكنه ألقى القبض عليه سنة 106ق.م[4].

[1] محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق ، ص 56.

[2] فتيحة فرحاتي ، المرجع السابق ،ص 222.

[3] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص185.

[4] عمار المحجوبي ، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني الى نهاية العهد السويري (146 ق.م-235 م) ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ، 2001 ،ص 5.

بدأ خضوع منطقة شمال أفريقيا لنفوذ الرومان ، بقضائهم على بقايا القرطاجيين ونفوذهم في المنطقة سنة 146 ق.م . وأنشأوا بالمنطقة حصونا تعرف بـ "الليمس" ؛ كان دورها عسكريا بالدرجة الأولى، حيث تعتبر حصنا متقدما للقوة العسكرية ، كما كان لها دور اقتصادي متمثلا في مراقبة الطرق التجارية ،وكونه مركزا للتبادل بين الرومان والقبائل المحلية، وتتمثل الوسيلة الثانية التي اعتمدها الرومان في استماله القبائل المغاربية [1] . ومنحها بعض الامتيازات ؛ كالإعفاء من الضرائب حتى تبقى وفية لهم، وتتمثل الوسيلة الثالثة في وصول بعض المغاربة إلى درجة الحصول على حق المواطنة الرومانية . فسخرتهم بذلك ؛لإخماد الثورات التي كانت تقوم بها قبائل أخرى ، غير موالية للرومان . وانتهت هذه الوسائل من تمكن الإمبراطورية من بسط سيطرتها عند نهاية النصف الأول من القرن 1 م .بهيمنتها على موريطانيا الطنجية ، القيصرية ، نوميديا وكل الممالك البربرية بأفريقيا الشمالية .[2]

تحولت نوميديا بعد هزيمة يوغرط ة الى غنيمة في يد الرومان، وبدل جعلها عمالة تابعة لروما، نصبوا عليها ملوكا محليين على شرط قيامهم بمد روما بالثروات الأفريقية، وبذلك تم تقسيم مملكة نوميديا الى ثلاثة ممال ك ، استأثر فيها بوكوس بالجزء الغربي جزاء عمالته، في حين حصل غودا على الجزء الشرقي، اما ماستانونزوس فقد حصل على الجزء الأوسط من مملكة نوميديا الموزعة[3] .

كانت نوميديا في عهد يوبا الأول بعد خلفاء بوكوس الذين تميزوا باقام ة علاقات ودية مع روما، ظهر ملك نوميدي آخر، وهو حفيد ليوغرط ة وكان اسمه يوبا الأول .هذا الآخير عمل

[1] جمال مسرحي : المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ القديم ، جامعة منتوري، قسنطسنة ، الجزائر، 2008 ، ص 6 .

[2] عمار المحجوبي ، المرجع السابق ، ص 60.

[3] محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص291.

على نهج اجداده يوغرط ة وماسينيسا لبناء دولة نوميدية مستقلة تكفيهم التدخلات الأجنبية. وفي سنة 48 قبل الميلاد ، بدت الفرصة سانحة لتحقيق هذا المأرب، ذلك ان صراعا قام بين بومبي وقيصر حول حكم روما. واعتقد يوبا الأول ان النصر سيكون حليفا لبومبي و راهن على حلف بينهما غير ان النصر كان مخالفا لتوقعات يوبا الأول . و تمكن قيصر من هزمة خصمه بومبي. ففي سنة 46 قبل الميلاد تمكن الجنود الرومان وجنود كل من بوكوس الثاني وبوغود الثاني من تحقيق نصر ضد جيوش يوبا الأول وبومبي .

بعد هزيمة يوبا الأول فقدت نوميديا استقلالها السياسي، وكانت نهايتهاعام 46 ق.م بعد مرور مائة سنة على ذكرى سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م . وبهذا دخلت نوميديا فترة جديدة وهي فترة الحكم الروماني[1] .

2) موريطانيا:

مملكة موريطانيا التي يذهب المؤرخون ان تقدمها بصفة عامة اكثر بطئا من نوميديا وربما كان هذا القصور بسبب نقص المعلومات [2] ، حيث حكم بوخوس الثاني الجزء الشرقي منها خلفا ل بوخوس الاول . اما بوغيد bogoud فقد حكم الجزء الغربي منها غرب ملوية .فوسع بوخوس مملكته على حساب نوميديا وبعد سنوات قليلة ايد بوغيد (73- 30 ق-م) .[3] هذا وقد صارت كل هذه بعد موت بوخوس في عام 33 ق.م ومقتل بو غيد في عام 31 ق.م خالية من اي حاكم وطني . وكان في امكان روما ضمها اليها مباشرة ، غير ان القيصر جايوس اوكتافيوس والذي صار امبراطورا يحمل لقب اغسطس (27ق.م -14 م). نصب سنة 25 ق.م يوبا الثاني ابن اخر ملوك نوميديا و هو يوبا الاول على موريطانيا

[1] محمد البشير شنيتي ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب ، المرجع السابق ص 85.

[2] محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، ص293.

[3] محمد البشير شنيتي ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق ، ص96.

دام حكمه اكثر من 40 سنة ؛ (25 ق.م – 15 م) وقد قام في موريطانيا بدور بارز و فعال .[1]

وجاء بعد يوبا الثاني ابنه بطلميوس الذي حكم موريطانيا فترة (23 – 40 م) ، الذي قتله الامبراطور الروماني كاليجولا فيما بعد (41 م) ليتم بعد ذلك تقسيم المنطقة اداريا[2].

3) بلاد المغرب تحت الحكم الروماني :

قبل التطرق للنظم الادارية في ظل الاحتلال الروماني ، في الفترة الممتدة من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث ميلادي، يجب الإشارة إلى أن بلاد المغرب القديم بقيت مدة قرن من الزمن –من146 ق.م . تاريخ سقوط قرطاجة إلى 46 ق.م . تاريخ معركة تابسوس التي انتصر فيها الرومان على يوبا الأول والتي من أهم نتائجها بداية الوجود الفعلي الروماني في بلاد المغرب القديم –خارج السيطرة الرومانية الفعلية– ، وهذا راجع لمجموعة من الأسباب، حيث يرى بعض المؤرخين الغربيين أن سبب تأخر غزو بلاد المغرب من طرف الرومان يتمثل في عدم وجود أطماع في المنطقة وهذه معلومة خاطئة، فالاهتمام الروماني بمنطقة المغربالقديم [3] يرجع إلى اندلاع الصراع مع الإمبراطورية القرطاجية سنة 264 ق.م عندما وقفت هذه الأخيرة سدا منيعا في وجه توسعات الرومان في حوض البحر المتوسط[4]. (انظر الشكل 6)

[1] محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، المرجع السابق، ص293.

[2] المرجع نفسه ، ص 297.

[3] مها محمد السيد ، الحصون والتحصينات الدفاعية في شمال افريقيا في العصر الروماني ، مصر ، 2008، ص2.

[4] محمد فوكه ، مناطق سهل الشلف في ظل الاحتلال الروماني ، مجلة عصور الجديدة ، عدد 11 – 12 ، وهران ، الجزائر ، فبراير 2014 ، ص 09.

II. الـنـظـــم الإداريـــة :

تميزت الادارة الرومانية باللامركزية [1] – وهذا باستثناء الفترات التي لم تكن فيها هذه المقاطعات خاضعة للحكم العسكري المباشر – وهو نظام يتيح حرية محدودة لحكام المقاطعات للتصرف فيها . حيث جرى تطبيق اسلوبين من النظم الادارية في نوميديا وهما : حكم اداري مدني في الشمال وحكم اداري عسكري في الجنوب طيلة العهد الامبراطوري الاول ، و تم تقسيم بلاد المغرب الى اربع مقاطاعات :

-افريقيا البرو قنصلية africa proconsularis .

-نوميديا NUMIDAE.

-موريطانيا القيصرية Caesariensis .

-موريطانيا الطنجية Tingitana[2].

1) افريقيا البرو قنصلية :

نشاء هذا المصطلح منذ سنة 41 ق.م أثناء عهد سيلا sylla . حيث لقب نائبه المكلف بالبروقنصل بعد انتصار اوكتافيوس بروما عن معارضيه ، ولقب باغسطس في 27 ق.م. وكانت البروقنصلية تشمل كل من افريقيا القديمة ، وافريقية الجديدة .وحدودها لبدة شرقا ، و مقنة غربا حتى هيبون-عنابة -شمالا، وغدامس جنوبا [3].

كما ضمت اليها مملكة سيتيوس Sittius، ابتداء من سنة 44 ق.م والبروقنصلية مرتبطة بحاكم [4]من مجلس الشيوخ حيث يمكن اعتبارها مستعمرة استطانية لقدماء الجيش.[5]

---

[1] محمد البشير شنيتي ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب ، المرجع السابق ، ص76.

[2] احمد حسسن السلماني ، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، دار القصبة للنشر ، ط 2 ،الجزائر ، 2017 ، ص 221

[3] محمد البشير شنيتي ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب ، المرجع السابق ، ص 79 .

[4] القاضي أو الحاكم في روما praetor ، للمزيد من المعلومات انظر : سالوست ،المصدر السابق ، ص14

[5] محمد العيد بشي، المرجع السابق ،ص 185.

2) نوميديا NUMIDIE :

كانت نوميديا تابعة للبروقنصلية من الناحية القانونية ، بعد ان احتلها اغسطس عند سقوط مملكة يوبا الثاني ، حيث تمتد من الجزائر (ايكوزيوم) و (ايول شرشال) غربا الى غاية روسيكاد شرقا غير ان حاكمها له صلاحي ات امنية و له سلطة الاشراف على الاراضي الواقعة جنوب منطقة افريقيا القديمة ،[1] ومنطقة المدن الخمس طرابلس . وتعتبر جميع اراضي نومديا ضمن المناطق العسكرية ، وهي مقاطعة امنية اكثر منها ادارية [2] .

3) موريطانيا القيصرية Mouritanie Cesarirnne :

انشات الادارة الرومانية مقاطعة موريطانيا في سنة 42 م ، والتي شملت القسم الغربي من مملكة نوميديا ، امتدت من واد ملوية Mulucha غربا الى غاية الوادي الكبير Ampsage شرقا. في حين يحدها من الشمال البحر االابيض المتوسط ، ومن الجنوب امتدت الحدود في العمق ، مرورا بالمناطق الداخلية وصولا الى جيتوليا[3] (انظر الشكل 7).

سميت المقاطعة بموريطانيا القيصرية ،نسبة للعاصمة القيصرية Cesaree سنة 25 ق م وهي شرشال اليوم ، ونصبت السلطات الرومانية الملك يوبا الثاني [4]على رأس المقاطعة. الذي ل يكن له اي استقلالية عن هيمنة الرومان كحكم غير مباشر . حيث يعين باعلى السلم الاداري موظفا من اعضاء مجلس الشيوخ يحمل لقب : حاكم المقاطعة او القاضي(legat ، propreteur)

[1] محمد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر القديمة، المرجع السابق ، ص 76.

[2] محمد العيد بشي، المرجع السابق ، ص 185.

[3] محمد قاسم ، الوضعية الاجتماعية والديموغرافية لغرب موريطانيا القيصرية من 42 م الى سنة 284 م ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الّقديم ، جامعة وهران 01 ، الجزائر 2015 ، ص 14 .

[4] يوبا الثاني ملك نصبه اوكتافيوس 25 ق م ملكا على مملكة موريطانيا تميزت فترة حكمه بثورة الجيتول من سنة 03- 06 م وثورة المزالمة بقيادة تاكفيريناس من 17 م الى 24 م ، انظر: محمد قاسم المرجع السابق ، ص16

كما اشرنا سابقا، فقد خلف بطليموس والده يوبا الثاني . حيث ذهب في زيارة ودية إلى روما في عهد الإمبراطور كاليقولا (41م)[1].وكان بطليموس قد ارتدى ثيابا فاخرة تفوق لباس الإمبراطور .فحقد عليه وأمر في الحال بإعدامه. و بموته انتهت مملكة موريطانيا .وحولت إلى ولايتين رومانيتين .وبذلك سيطر الرومان على الشمال الإفريقي كله من طرابلس إلى ط نجة وضم كلاوديوس Clauduis مقاطعة موريطانيا، إلى روما بعد اعتلائه للعرش 42 م وقسّمها ولايتين: موريطانيا سيزرينسس (موريطانيا القيصرية) و (موري طانيا تنجتانا) [2] موريطانيا الطنجية نسبة إلى عاصمتها تنجيس Tingis ، وهي طنجة الحالية[3].

4) موريطنيا الطنجية Mauretania Tingitana :

في عهد القيصر كلاوديوس سنة 42م أمر بتقسيم موريطانية إلى إقليمين هما موريطانية القيصرية و موريطانية الطنجية في اقصى الغرب ، حيث أن الطنجية وُجدت على الخصوص في منطقة شمال المغرب الحالي واتسعت مملكة موريطنيا في عهد ملوكها الكبار حتى حدود تونس، وكانت عاصمتها طنجيس – طنجة حاليا–. وكانت مشهورة بزراعة القمح .حيث كانت مقرا اقامة وكيل الامبراطورية الذي يمثل دور القنصل الروماني الذي يشرف على قوات الاحتلال الاضافية. [4]

[1] محمد البشير شنيتي ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق ، ص 82.

[2] محمد العيد بشي، المرجع السابق ،ص184.

[3] محمد قاسم ، المرجع السابق ، ص 17.

[4] محمد العيد بشي، المرجع السابق، ص 186.

III. ثورات المغاربة ضد الاحتلال الروماني و موقف القبائل المحلية منه :

أما بالنسبة لموقف القبائل المحلية ،من الوجود الروماني فكان الرفض والمقاومة، حيث كانت نوميديا وموريطانيا ، مسرحا للعديد من أعمال مقاومة الاحتلال الروماني، والدليل على ذلك، الاستحكامات العسكرية الرومانية المنتشرة، في كل أنحاء كل من نوميديا، وموريطانيا على السواء، نذكر منها:

1) يوغرطة ومقاومة روما :

كان يوغرطة مقاتلا شجاعا يحظى باهتمام خاص لدى الرومان، [1] الذين لم يبخلو عليه بخبرتهم في استعمال مختلف الأسلحة . ولم يكن يوغرطة ليقبل تجزئة أرض أجداده التي أصبحت تسهل دخول روما، فلجأ إلى قتل هيمبسال ومطاردة أذريعل الذي استنجد بالرومان، وبالفعل تتدخل روما ويعاد تقسيم مملكة ميسبسا إلى قسمين، لكن يوغرطة لم يرض بالاتفاقية، حيث قام بغزو الأراضي التي منحت لـ أذربعل ، وحاصره في كيرتا واتبعه حتى لقي مصرعه رغم حذره الشديد[2] .

ذهب يوغرطة ضحية مكيدة دبرت له حسب اتفاق المؤرخين المغاربة المحدثين لانهم اخذوا من نفس المصدر او الم صدر الوحيد لحرب يوغرطا وهو ما رواه سالو ست عن تلك الحرب وعن نهاية يوغرطة ، حيث تم تسليمه للرومان في أواخر عام 105 ق.م .

مات يوغرطة جوعا في السجن، في بداية عام 104 ق.م ، وبنهايته ضاعت آمال اعادة بناء نوميديا .[3]

---

[1] سالوست ، المصدر السابق ، ص 19.

[2] محمد البشير شنيتي ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق ، ص37.

[3] المرجع نفسه ، ص22.

2) مقاومة عربيون Arabioun 45 – 41 ق م :

الامير عربيون ابن مسينسن الثاني هو ملك نوميديا الغربية ، حيث نشأعربيون في اوضاع سياسية صعبة و استلم مهمة الدفاع عن المملكة النوميدية بعد مقتل قيصر في عام 44 ق.م لخبرته العسكرية بفضل اشتراكه الى جانب البومبيين في محاولتهم الاخيرة في اسبانيا [1] ، وبعد عودته حاول اعادة بعث امجاد نوميديا .حيث كون جيشا نظاميا من المحليين خارج حدود السطرة الرومانية بسهول قسنطينة حيث وجه ضربات للقائد سيكسيتوس sextius [2] . ثم تواجه الامير عربيون مع الوالي الروماني كورنيفيكيوس Cornificius [3] الذي انتصر عليه الامير النوميدي حيث توج ملكا بعد ذلك الى ان تم اغتياله من طرف الوالي الروماني سيكسيتوس sextius 45 ق.م [4].

3) ثورة تاكفريناس tacfarinas 17م-24م :

كان تاكفريناس ضابطا في الجيش الروماني .و بالرغم من رغد العيش وترفه الذي كان يعيشه في ظل الرومان .وهو يشاهد قومه كيف يستغلون و يستبعدون الأمر الذي دفعه إلى التمرد وإعلان الثورة على الاحتلال الروماني .انطلق من الأوراس بعد أن أعد العدة ودرب أنصاره هناك .معلنا ثورته عام 17م . هذه المقاومة من قبيلة الموزلامي Musulmii ، فشكل منها جيشا نظاميا من المشاة والفرسان على الطريقة الرومانية وقد كبد تاكفريناس الرومان عدة هزائم [5] . حيث كان تاكفاريناس يستخدم أساليب قتالية لم يألفها الرومان، كان يستخدم تقنية المناورة باللجوء إلى الانسحاب والمباغتة والهجوم المفاجئ وحرب العصابات المنظمة وضرب الجيش الروماني في قواعده المحصنة لانه اعتمد في حربه على نوعين من

[1] محمد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر القديمة ، المرجع السابق، ص 83.

[2] محمد البشير شنيتي ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق، ص 68.

[3] هو عسكري روماني و صديق لشيشرون ، انظر احمد حسين السليماني ، المرجع السابق ، ص 213 .

[4] المرجع نفسه ، ص 217 .

[5] محمد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر القديمة ، المرجع السابق، ص 88.

القوات العسكرية، قوة عسكرية منظمة على الطريقة الرومانية المكونة من المشاة والفرسان وقوة غير منظمة معتمدة على حرب العصابات هددت وجودهم في المنطقة ودفعتهم إلى تعبئة كل قواتهم[1] . عبر ارسال حملات فتتابع وصول القادة العسكريين لبلاد المغرب الواحد بعد الآخر :

1/حملة البروقنصل فوريوس كاماليوس Furues Camilus.سنة 17 م.

2 /حملة أبريونوسApronius سنة 20 م.

3/حملة يونيوس–بليسوسJunnues Blaesus 20 م.

4/ حملة دولابيلا Cornelius Delabella 23– 24 م[2].

وبينما كان تكفريناس في شرق سور الغزلان الحالية .فجاءته قوات رومانية موري طانية. فدافع تاكفريناس دفاع الأبطال حتى سقط في ميدان القتال عام 23م. لتخمد بذلك ثورته . وتندلع ثورات أخرى للتخلص من الاحتلال الروماني[3].

4) ثورة إيدمون Aedemon:

عمت الاضطرابات المملكة الموريطانية في عهد الإمبراطور كاليقولا Caligula بعد مقتل بطليموس 41 م فتجمع الثائرون بقيادة إيدمون، بعد أن ضمت روما موريطانيا واستعدادا لهذه المواجهات أرسلت روما فرق نحو سواحل موريطانيا، ونزلت هذه القوات في طنجة وليكسوس .موريطانيا الغربية و(يول شرشال) و (كنتاري تنس) بموريطانيا الشرقية، وتوجهت هذه الجيوش بعد الإنزال نحو الداخل في منطقة فوليكيس في موريطانيا الغربية وسهل الشلف في موريطانيا الشرقية.

[1] محمد البشير شنيتي ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق ، ص96.

[2] محمد فوكه، المرجع السابق، ص 15.

[3] محمد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر القديمة ، المرجع السابق، ص 99.

حيث تمكن إيدمون من استنهاض كل القبائل المورية والنوميدية، وشملت هذه الانتفاضة كل الأراضي الموريطانية وامتدت للأراضي النوميدية[1]. بعد أن امتنعت القبائل البربرية عن تقديم القمح والمؤن للجيش الروماني حيث تركزت العمليات العسكرية في سهل الشلف، وتمكن إيدمون من احتلال مدن السهل السفلي وتوسعت هذه الثورة حتى وادي تافنة ومنطقة وليلي بالمغرب الأقصى حاليا . استمرت هذه الثورة أكثر من عامين، وتمكن الرومان من القضاء عليها بعد أن تخلت عنه قبائل وليلي والتي أعلنت مدينتهم مدينة رومانية سنة 44 م [2] .

5) ثورة سيسغا Sisga 253 م – 255 م :

قامت ثورة سيسغا خلال حكم الامبراطور فالريانوس، في سنة 253 م اندلعت مقاومة عنيفة في كل إفريقيا، التي أخبرنا عنها القديس كبريانوس من خلال رسائله التي بعثها، لجميع الكنائس آنذاك لجمع أموال الفدية لإطلاق صراح الرهائن المسيحيات لدى الثوار كما سخرت روما إمكانيات عسكرية كبيرة للقضاء على هذه الثورة، وقد كلفت حاكم موريطانيا القيصرية بملاحقة الثوار وعززته بفرق عسكرية أجنبية، كما تم استدعاء الفرقة المرابطة في مدينة تنس منذ سنة 238 م . ورغم كل هذه التعزيزات فإن الثوار بقيادة سيسغا Sisga. تمكنوا من محاصرة مدينة الشلف وتدميرها سنة 253 م . نستنتج من خلال ذلك أن روما رمت بكل ثقلها بعد أن امتد لهيب الثورة من موريطانيا إلى نوميديا، وأن العديد من القبائل شاركت فيها، كما أبرزت هذه الثورة رفض الأهالي للاستعمار الروماني، وفشل سياسة الرومنة التي بقيت سطحية ومنحصرة في فئة قليلة منهم[3].

[1] محمد فوكه ، المرجع السابق ، ص 16

[2] محمد فوكه ، المرجع السابق ،ص 17

[3] المرجع نفسه ، ص 18

6) مقاومة فيرموس firmianeus و جيلدون Gildon. 372-395 م

وجد الدوناتيون في فيرموس قائدا يخلصهم من الرومان، فساندوه حتى عرفوا بالفيرمانتيين Firmianeus . وقد أعلن رجال الكنيسة الدوناتية في موريتانيا القيصرية، ولاءهم لفيرموس، وسرعان ما انتشرت الثورة في المنطقة ،ابتداءا من سنة[1] 372 م، فأرسل الإمبراطور فلانتيانوس، حملة عسكرية إلى موريتانيا، بقيادة الكونت تيودوز Theodose .الذي نظم خمسة حملات عسكرية متتالية. على مختلف مناطق موريطانيا، حيث أقام مركزا عسكريا هاما ،وجمع حوله قوة كبيرة من الجيش النظامي، والمرتزقة والفرق المساعدة، ورغم ذلك استطاع فيرموس حرق مدينة شرشال، و (إيكوزيوم الجزائر). وبعد مطاردة تيودوز للثوار وإقدامه على الانتقام من الأهالي و الأسر و الحرق وبيع الأسرى للمرتزقة، نقل فيرموس ثورته نحو الونشريس وزكار والبليدة، ملقنا الرومان درسا في التضحية، بعد أن فقد كل ممتلكاته وعائلته إلى أن قتل في إحدى المعارك سنة375 م . ان ثورة فيرموس انتشرت بشكل واسع في موريطانيا القيصرية ونوميديا. [2] وتحولت إلى ثورة شاملة اتحدت فيها معظم القبائل المورية والنوميدية بقيادة" فيرموس" وتمكنت هذه الثورة من إلحاق خسائر معتبرة بالرومان في الأرواح والمحاصيل الزراعية، وبسبب الخيانة وسياسة (فرق تسد) ،التي اعتمدها الرومان في مثل هذه الظروف انتحر فيرموس وبذلك تنتهي هذه الملحمة، وقبيل نهاية القرن اندلعت ملحمة أخرى على منوال فيرموس بقيادة أخيه جيلدون Gildon[3].

IV. نهاية الاحتلال الروماني :

بعد صراعات المذهب الدوناتي مع السلطة الرومانية . انتشرت بذور الثورة في كل بلاد المغرب .وكان النظام الاستعماري الروماني أكبر سبب لحركة العصيان . انهزم الدوناتيون في عدة مواقع أمام الج يش الروماني .وكان الوالي العام الروماني يومئذ يدعى الكونت يونيفاس ،

[1] محمد فوكه ، المرجع السابق ،ص 18.

[2] محمد العيد دبثي، المرجع السابق ،ص 193 .

[3] محمد فوكه ، المرجع السابق ، ص 19.

وهو متزوج من إمراة وندالية .قد خشي عزله من طرف سلطة روما .فأعلن عصيانه و انفصاله عنها عام 429م .واستقدم الوندال الجرمانين المستقرين بإسبانيا .حيث زحفوا على إفريقيا عام 429م .بعد أن اتفق مع الوندال ليتركوا له الاحتفاظ بمملكة إفريقيا . وهكذا انتهى الاحتلال الروماني للبلاد الذي استمر قرابة ستة قرون .[1]

من خلال لمؤلفات ، نلاحظ انه تم تسليط الضوء على المواضيع التي تتعلق ب الفترة الفنيقية والقرطاجية. و الفترة التي تتعلق بروما ، وعلاقتها بشمال افريقيا، خصوصا الفترة الممتدة من الحروب البونية ، لغاية الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم . وبالاخص الجزء الشرقي منه أي نوميديا ، بشقيها الشرقي والغربي . وكذلك افريقيا البروقصلية، وهي المراحل التاريخية التي تم تناولتها العديد من الدراسات المحلية بشيء من التفصيل.

اما الجانب الغربي من بلاد المغرب ؛ أي موريطانيا تحديدا . فالتفاصيل بالنسبة لهاته الفترة تكاد تكون نادرة ، او شحيحة ان صح التعبير، وهي الفترات التي لم يتم التركيز عليها من طرف المؤرخين . لذلك توجد فجوات او ثغرات خلال ها .من قبل الحروب البونية ولغاية تقسيم موريطانيا للطنجية وقيصرية ،فكل ماتطرق اليه الباحثون هو ماتعلق بروما بطريقة مباشرة او غير مباشرة .اما الشأن الداخلي ،و مايتعلق بتنظيمات المملكة ،فيكاد يكون غامضا او مبني على فرضيات فقط. بدليل تناقض بعض التواريخ المعلمية في تاريخ المنطقة .او عدم تطابقها في معظم الاحيان بتعبير ادق. حيث انها تفتقر الى الدقة والقطعية .

وركَّزوا في ذلك على فترات احتلال بلاد المغرب القديم ، وليس التاريخ العام لبلاد المغرب مع اهتمام خاص، لاعتبارات معروفة، بالفترة الرومانية.ومما يعاب عليهم عدم إعادة كتابة هذا التاريخ وتفكيك افتراضاته بنظرة إبداعية ومحايدة ليس من زاوية تقديم حقائق جديدة فحسب ولكن أيضا بإعادة قراءة الأحداث "المعروفة" برؤية محلية أصيلة مغايرة.

[1] محمد البشير شنيتي ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب ، المرجع السابق ، ص97.

أن مؤلف المؤرخ الجزائري مبارك الميلي بعنوان "تاريخ الجزائر" مثلا قد اعتمد على ترجمة كتابات المؤرخ الفرنسي جسال (Gsell) وكرر افتراضات هذا الأخير من أن دراسة تاريخ البربر يتم من خلال تاريخ الأمم الأخرى التي سيطرت على المنطقة. وتضمن مؤلف الميلي ابتكارا جديدا يتمثل في تقسيم تاريخ الجزائر إلى فترتين: ما قبل وما بعد "الاحتلال العربي،" وهو يستعمل تعبير "الاحتلال" على النحو الذي نجده في كتابات المؤرخين الفرنسيين، بينما الحقيقة التاريخية تتطلب استخدام تعبير الفتح "الاسلامي" على اعتبار أن مكون الإسلام كان الأساس في هذا الفتح. ويصل الميلي تقريبا إلى نفس الزعم الذي يُقرَّه المؤرخون الفرنسيون من أن البربر لم يكونوا قادرين على تكوين سلطة مركزية والتوحد في دولة مستقلة خلال تلك العصور، ويضيف أن البربر تعودوا خلال هذا التاريخ على عدم التوحد والفوضى.

أما المؤرخ الجزائري الآخر محمد الصغير غانم الذي عادة ما يطوع التاريخ للفكر القومي ، فقد ركز على مرحلة الفنيقيين وبَّين أن المرحلة الفنيقية ليست باحتلال مثلما تذهب إليه الروايات الاخرى وإنما الفنيقيون مع المحليين تحت سلطة الحضارة القرطاجية مثل غيرهم من البربر انضموا للفنيقيين بمحض إرادتهم، وكان لهؤلاء الفنيقيين الاستقلالية والحرية في اتخاذ القرارات بالمنطقة. ويضيف الدكتور غانم أن الوجود الفنيقي حمى المنطقة لمدة قرون من الهجمات والتحرشات الغربية المستمرة على طول سواحل الشمال الافريقي.

إن هذه الطريقة ليست خاصة بالمؤرخين المغاربة، لقد سبق أن اتبعت في الشرق ولكن من غير إفراط لا في الكم ولا في الكيف، فتاريخ الاستاذ محمد العربي العقون مثلا ليس إلا نسخة مشذبة من تاريخ ستيفن قزال ،حيث يتناوله من زاوية فرنسية بحت، والاطلاع على ما في نسخ هذه الكتابات المتتالية، مع الفروقات البسيطة في الصياغة والمضمون وهكذا ظل المؤرخ اللاحق يجتر خلاصات المؤرخ السابق دون نقد أو تمحيص، و هو الأمر الذي أعطانا ركاما هائلا من الدراسات ذات العناوين المختلفة والمضامين المتشابهة نسبيا.

كما يمكن وصف البحث التاريخي خلال هذه الفترة بالعشوائي. وهو أمر لا يرجع إلى تعدد شعب التاريخ وطول أمد الفترة المدروسة، بل هو موجود بسبب التراكم المعرفي الغير ممنهج ومنظم.

أمام هذا الوضع، و بداية التراجع تتضح هذه الهشاشة في غياب بنيات للبحث تؤطر الباحثين، وإهمال شبه تام اللغات الأوروبية الاخرى غير الفرنسية ، إضافة إلى ضعف المتابعة النقدية للأعمال المنجزة.

كما يمكن القول بهذا الصدد ما اورده المؤرخ ابن خلدون في المقدمة، وهو أن التاريخ لا يستقيم إلا بالاحتكاك بـ"المعارف متسعة الفضاء" و"النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء"، وأن "الكتابة صناعة من بين الصنائع"، مع ما تقتضيه من ملكة وسعة اطلاع.

والجدير بالذكر ان مرحلة العصر الامبراطوري الروماني ؛ بحاجة للدراسة والتحليل بشكل اشمل؛ فهي الفترة التي لم تحض بالقدر الكافي من اهتمام المؤرخين .مقارنة بالفترات التي سبقتها كالعصر الجمهوري ،وعلاقته ببلاد المغرب القديم مثلا .

الفصل الثالث:

الإحتلال الوندالي و البيزنطي لبلاد المغرب

(429م -647م)

المبحث الاول الإحتلال الوندالي

المبحث الثاني : الإحتلال البيزنطي

I. الاحتلال الوندالى:

1) أصول الوندال:

ترجع أصول الوندال إلى إحد ى شعوب القوط الذين أقاموا في القرن 3 ق م على شواطئ البلطيق ثم إنتشروا في جرمانية وتعددت شعوبهم فكان منهم السويف والآلان و البرغند و الوندال. وفي النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي تغلبوا على بلاد مقدونيا وبلاد الإغريق وانتشروا على ضفاف نهر الدانوب [1] بعضهم جنوبه ويسمون القوط الشرقيون وبعضهم شماله ويسمون القوط الغربيون. واستقروا في إسبانيا سنة 409 م ثم اتجهت أنظارها إلى بلاد المغرب لاحتلالها[2].

2) أوضاع بلاد المغرب قبيل الإحتلال الوندالى:

كانت مناطق شمال إفريقيا قبيل الإحتلال الوندالى ،تحت سيطرة الرومان. غير أن هذه السيطرة لم تكن محكمة ،لرفض سكان المغرب للإحتلال الروماني. وما يدل على ذالك حملات المغاربة المتكررة، نتيجة وجود بعض الجهات ظلت محافظة على استقلالها ،وسط الحكومة الرومانية مثل جبال الأوراس، و جرجرة ،و الونشريس ،وقد كانت هذه الجهات مادة تلقيح الحركة الإستقلالية . وقد كانت روما مهتمة بهذه المستعمرات ولا تريد تضيعها، لأنها كانت تنتج قدرا وفيرا من المنتوجات الغذائية، وخاصة القمح .و تصدر سنويا كميات كبيرة إلى روما. إلا ان ذالك الضعف الذي أصاب روما أدى إلى إنشقاق كبير بينها وبين مستعمرات شمال إفريقيا. وبعد ان مات أونريوس سنة 423 م

[1] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 233.

[2] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص195.

خلفه في النهاية فالنيتان الثالث [1] Valentinien III إبن جالا بلا كيديا[2]. وكانت جيوشها تحت إمرة أيتيوس و بونيفاس Bonniface ، وهذا الاخير كان يبذل جهده لئلا تتمرد إفريقية على الإمبرطورية الشرعية ؛(الإمبرطورية الرومانية) ،التي حققت على البربر إنتصارات عسكرية . مما أدى إلى إنتشار صيته وهو ما أدى الى غيرة منافسه القائد العام أيتيوس الذي روج لبلاكيديا[3] أن بونيفاس ، يريد الإستقلال بإفريقية ،وطلب منها أن تدعوه ،ومن جهة أخرى أرسل الى بونيفاس ،أن الملكة تريد قتله لذالك لم يحضر إلى الملكة ،فعزلته سنة 427م فرفض عزله وهو ما أدى الى نشوب معارك بينهما. وقد هزم بونيفاس الجيوش التي أوفد ها فيليكيس لمقاومته ،ولكن الجيش الذي كان يقوده كونت إفريقيا سجسفولت [4].وهو من القوط، إستولي في ما يبدوا على (بونة عنابة) و قرطاج في أوائل سنة 428م . فأصبح بذالك وضع المتمرد بونيفاس خطير. وهوا ما أدى إلى إستنجاده بالوندال. ثم قبل الملك الوندالى جنسريق Geniséric هذه الدعوة ولم يترك هذه الفرصة تفوته وجهز حملة عبر بها مضيق جبل طارق . [5]

3) أسباب الاحتلال الوندالي:

لم يكن إحتلال الوندال لبلاد شمال إفريقيا أمر مفاجئا بل تجمعت له عدة أسباب منها :

أن الوندال شعبة من القوط ، أمة شديدة البأس صعبة المراس . وهو ما تميز به قوم الوندال ويدل على ذلك صياغة تاريخهم وإتحادهم في الأخلاق حتى أطلق الرومان علىهم إسم المتوحشين.

---

[1] فالنيتان الثالث الذي كان في الرابعة من عمره وهو إبن جالا بلا كيديا فحكمت بلا كيديا خمسة وعشرون سنة بسم إبنها ، انظر : شارل اندريه جوليان، المرجع السابق ، ص 232.

[2] المرجع نفسه ، ص 232.

[3] جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البزنطية 284-1453 ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ،2005 ، ص 79.

[4] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 237.

[5] المرجع نفسه ص 234.

- كان سكان إفريقيا يحتفظون بقدر وفير من المواد الغذائية وخاصة القمح فاستحقت إفريقيا ان تكون المخزن العالمي للحبوب. و أصبح الوندال أسيادا على معظم تراب أسبانيا في العشرينات من القرن 5م .قام ملكهم جنسريق ، بإكمال مهمة أخيه عندريق لتنظيم حملة على إفريقيا وكان جنسريق أعظم قواد ورجال الدولة الجرمانية في القرن 5م. وما كان لرجل على هذا القدر من البراعة أن يجهل ما كانت تتخبط فيه إفريقيا من فوضي. [1]
- خاصة ما آلت اليه الإمبراطورية الرومانية .فضعف السلطة المركزية لروما الذي ظهر في جوانب مختلفة للإمبراطورية ، و ضعف الجيش وعجزهم على حماية المناطق البعيدة التي تسيطر علىها، وهذه الحالة من الفساد مست العلاقة بينها وبين مستعمراتها. وشمال إفريقيا من أحد هذه المستعمرات التي أنتجتها هذه الفوضى وتمرد بونفياس على الإمبراطورية سنة 427م . ودخلت في حرب بينهما أدت إلى استدعائه . فصادف ذلك رغبة الوندال ولبوا مسرعين. وعلاوة على تمرد بونيفاس ،كانت الثورات البربرية متزامنة ،و إنتفاضات الأقوام التي أرهقتها ضرائب الإمبراطورية وإرهاب الدوناتيين ،الذين كانو يغتنمون جميع الفرص ليعبرو عن سخطهم إزاء السلطة المركزية. و انتهاز فرصة ضعف السلطة الرومانية؛ بسبب اشتداد المقاومة المغربية ومحاولة بونيفاس ؛والى إفريقيا الرومانية، الانفصال عن روما و الاستعانة بالوندال[2].
- كانت إفريقيا بأكملها على غرار حكمها، تتوق إلى الإستقلال .ومن الطبيعي أن يتوقع من تحدثه نفسه بالإغارة على هذه البلد. بمقاومة ضعيفة ومساعدات ثمينة ولم يترك

[1] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص .196

[2] المرجع نفسه ، ص195.

جنسريق. [1] الفرصة تفوته ،وأنتقل بجيوشه إلى إفريقيا فقد إنطلق من مضيق جبل طارق في ماي سنة429م . و إلتحق بالسواحل الإفريقية من جهة طنجة وسبتة.[2]

- رغبة الوندال في الوصول إلى روما عن طريق أقصى بلاد المغرب بعدما فشلوا في اقتحامها عن طريق روما. ورغبتهم في الاستيلاء على الثروات المغاربية. فلجميع هذه الأسباب احتل الوندال بلاد المغرب بطريقة وحشية استعملوها للتغلغل والاستيلاء على الأراضي[3].

4) سياسة الوندال في بسط سيادتهم على البلاد:

عبر جنسريق مضيق جبل طارق إلى الضفة المقابلة لها من شمال غرب إفريقيا في 429م . مصحوبا بالوندال والألان والقوط القاطنين بإسبانيا أي مايقارب من 80ألف نسمة منهم 15ألف جندي[4] – بالنسبة لتعداد الوندال وجنودهم فقط اتفق المؤرخين المغاربة على هذا العدد لانهم اعتمدوا على ماذكره المؤرخ البزنطي بوركوبيوس Procopious الذي عاصر عصر جيستنيان Justinien، و قد يعود ذلك لانه من القلة الذين اهتموا بتاريخ الوندال وأرخوا لهم – . وأثناء زحفهم داخل البلاد تبع ذلك أعمال فظيعة ؛من عبث بالأشجار ، والمزروعات ،وحرق الكنائس ،وإمعان في تعذيب القساوسة ،ورجال الكنيسة ،وتقتيل الشيوخ والأطفال، وهوا ما يدل على نية الوندال الغازية[5].

سعى القديس أوغسطين Augustine إلى الصلح بين بونفياس ،والحكومة الرومانية بروما. فطلب بونفياس ،بعد أن أعادته روما إلى ولايته من الوندال؛ الرحيل عن إفريقيا ،فقابله الوندال

[1] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص 196.

[2] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 238 .

[3] محمد الصالح العود ، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية، 534 –429 م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة ، 2010 ، ص 46.

[4] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 239.

[5] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص 196.

بالرفض، فقد توغل جنسريق في نوميديا .ولم يجد مقاومة تصده ولم يكن في مقدور الإمبرطورية أن تقف في وجهه .وعندها قررت بلاكيديا العفو عن بونفياس .ثم أعتصم (بعنابة هبيون). وحاصره جنسريق.حتى توفي أوغسطين أثناء ذالك الحصار بعد ثلاثة أو أربعة أشهر في سنة 430م، ثم زحف الوندال على بقية البلاد دون مقاومة ماعدا مدينة كيرتا و قرطاج التي لم يحاول اقتحمها عنوة لقلة خبرته في الإستلاء على المدن.[1]

وفي سنة 431 م .نزل بقرطاج جيش من القسطنطينية ، بقيادة أسبار Aspar لنجدة البلاد من الوندال .وأنضم إلى جيش بونفياس ، ولكنهما إنهزما معا في نفس السنة. ثم التجأ الرومان إلى الحلول السياسية والدبلوماسية ،بعد استعمال المجابهة بالقوة ،ولكن ها حالت دون ذالك أمام الوندال ففي سنة 435 أبرمت " اتفاقية هبيون " ،والتي من بنودها إعطاء حق الاستقرار بنوميديا للرومان مطمئنين غير أن جنسريق لم يكن يعتبر تلك المعاهدة إلا هدنة تمكنه من الاستعداد لمواصلة هجوماته ،وهو ما حصل في سنة 439 عندما حاصر مدينة قرطاجة، إ ستولي علىها بدون أن يصادف أي مقاومة .ثم وقع عقد صلح بين الطرفين سنة 442م. لكن جنسريق لم يحترم هذه الإتفاقية . أيضا بل إستعمله ا كوسيلة للوصول الى غايته، ولم يقف عند إفريقيا .بل إستولي على طرابلس، وعلى جزر بحر المتوسط ، وفي بداية النصف الثاني من القرن 5م ،إحتل موريطانيا الطنجية، والقيصرية، وأصبح جنسريق في الظاهر على الأقل سيدا إفريقيا من أقصاها إلى أقصاها. إلا أن هذه المقاطعات الأخيرة لم يكن يحكمها حكم مباشر .وكذالك نوميديا فهي أشبه بالمستقلة.[2]

لقد كانت معاملة الوندال لأهل البلاد متفاوتة منها ما تميز بالخشونة و منها م ا كان معاملة لينة. و هذا الاختلاف في التعامل كان نتيجة الإختلاف في الدين وطبيعة التركيبة

[1] محمد محي الدين المشرفي ، افريقيا الشمالية في العصر القديم ، دار الكتب العربية ، ط 04 ، لبنان ،ص133.

[2] المرجع نفسه ص 134.

السكانية ومزاج وتصرفات ملوك الوندال، ورغم ما يتصف به الوندال من همجية إلا أنهم إلتجؤ إلى المكر والحيلة في كثير من الأحيان.[1]

لقد إفتك الوندال جميع الأراضي والمزارع الخصبة والبنايات التي كانت لرومان وأبيد الأغنياء والطبقة الارستقراطية من الرومانيين وأقتسموها بينهم وجعلوا يستغلونها مع إعفا ئهم من الضرائب التي كانت تثقل كاهن أبناء البلاد وحدهم ، وقد هدم الوندال ما خلفه الرومان من حصون وقلاع وأسوار خشية من أن يستعملها الثوار والمتمردون من المحليين، كأماكن يلتجؤن اليها. وكان الوندال متمسكين ،بمذهب الأريوسية؛ وهو مغاير لمذهب الكاثوليك . الذي تتبعه كنيسة روما. لذاك كانوا يضطهدون رجال الدين ؛الكاثوليك بإفريقيا ، ويقبضون على رهبانهم ،ويصادرون أموالهم، ويهدمون كنائسهم ،أما معاملتهم لسكان البلاد فقد كانت لينة فيها شيء من اللطف والمجاملة .الآمر الذي أستمال قلوبهم و نفوسهم بالشعور بالكرامة وبالعزة القومية.[2]

لقد كان الوندال يحاولون الإبتعاد عن الفتن ؛ خاصة منها الداخلية ، و إجتناب التصادم مع السكان الأصليين .ولذاك فما كادوا يستقرون في البلاد حتى أ منوا أهلها على حقوقهم و ساسوهم برفق. ومن الوسائل التي إلتجأ اليها جنسريق ،التخلص من تلك الفتن التي قد تنشأ داخل البلاد ، وهي أعمال القرصنة ،و اللصوصية. فتلك العصابات المسلحة ،والمتمردة من الإفريقيين قام بإشراكهم في شن الغارات على السواحل الأوروبية على البحر المتوسط و نهبها ، ثم تقتسم تلك الغنائم معهم بمدينة قرطاج .[3]

[1] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ،ص 245.

[2] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص 197.

[3] محمد الصالح العود ،المرجع السابق، ص54.

إلا أن هذا الحال لم يدم طويلا فبعد موت جنسريق 477م. ظهرت بعض الفتن وتمرد السكان الأصليين ، إضافة إلى ذلك ؛ المشاكل الناتجة عن إضطهاد الكاثوليك ،التي كان الوندال يعتبرونهم دعاة للرومان المتعصبين في الكنيسة[1] .

اهتم الوندال بالجانب الاقتصادي .فإلى جانب القرصنة واللوصوصية التي إستعملها ، خاصة الملك جنسريق لإثراء خزينة الدولة .إضافة إلى هدف سياسي ؛ وهو صرف أنظار المتمردين من السكان ، على هذه الأعمال ، وتقسيم الغنائم معهم ، و إهتم بالزراعة . فإن جنسريق إفتك من أفراد الأرستقراطية الرومانية ، سواء كانوا من النبلاء، أو من رجال الدين ، الأراضي الزراعية، وقسمها على النبلاء من الوندال. إلا أن هناك تجاوزات في حقوق السكان بحيث ان ؛ أصحاب الارض (الملاكين الصغار) ، من الأفارقة ظلوا يعملون في أملاكهم ، ولكن تغيرت مكانتهم من مالكيين إلى عبيد. وفرض ضرائب ثقيلة على المغاربة الذين امتلكوا الأراضي الأقل خصوبة. ومن وحشية الوندال أنهم حاربوا واضطهدوا رجال الدين المخالفين لهم في المذهب فأغلقوا الكنائس واستولوا على كنوزها.من بين المذاهب التي اضطهدها الوندال المذهب الكاثوليكي." [2]

5) الوضع العام في مناطق النفوذ الوندالى:

اختار ملك الوندال من بين سكان إفريقيا أكثرهم وأعظمهم شأنا، فانتزع أملاكهم وكبلهم بسلاسل العبودية، ثم جرد الأفارقة من أخصب أراضيهم وأوسعها فوزعها على الوندال، وقد سميت هذه الأملاك باسم قطع الوندال، ولم يلبث الملاكون القدامى أن تدحرجوا إلى أحط دركات البؤس .ولكنهم احتفظوا بحريتهم وأمكنهم أن يستقروا حيثما شاؤوا .وأعفى جنسريق

[1] محمد محي الدين المشرفي ، المرجع السابق ، ص140 .

[2] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ،ص 240.

الوندال من الضرائب على الأراضي التي يملكونها وأبقى لأهل البلاد جميع الأراضي التي اعتبرها ضعيفة الإنتاج، ولكنه أثقل كاهلهم بالضرائب.[1] (انظر الشكل 8)

من الناحية الإدارية ، احتفظ الوندال بنظام الرومان الإداري، وحتى بالموظفين الرومان الذين واصلوا مهامهم باسم الملك الوندالى. أما من الناحية العسكرية، فلم يكن لهم جيش دائم بل كانوا يتحولون إلى جنود في الأوقات الحرجة، كما استعانوا بالخبرة المغربية في الملاحة والسفن للعناية بأسطولهم. قصد فرض سيطرتهم على البحر المتوسط و جزره . [2]

6) المقاومة المغاربية وانبعاث الإمارات المستقلة:

قامت دولة الوندال ؛ في شمال إفريقيا لفترة تناهز القرن، إلا أن هذا الإحتلال لبلاد إفريقيا كان جزائيا ناقصا ، فالوندال قضوا على النفوذ الروماني بها ولكنهم لم يبسطوا نفوذهم بدله ، غير ان التذمر العام إنفجر في صورة مؤامرات متعددة . أما الاضطرابات الإفريقية العنيفة التي كانت تؤيد جنسريق ، فقد عارضت توطيد سلطته ،وظلت ثورات سكان شمال إفريقيا والكاثوليك أتباع دوناتوس ، تزعج وتهدد حكم الزعيم بصورة مستمرة. وفي قلب إقليم نوميديا ظلت مدينة سرتا الداخلية محافظة على استقلالها بإصرار ، وعناد ،وتغلب جنسريق على هذه الصعاب شيئا فشيئا ،بمثابرة ،وقسوة ،واستخدم فنون السلم مرة ،وفنون الحرب مرة أخر، للإقامة مملكته الإفريقية.[3]

ومن فنون السلم والحيل ،إبعاد العناصر المسلحة والمتمردين الإفريقيين ، إلى القائم ين بأعمال القرصنة واللصوصية ، فهي مفيدة وناجحة بالنسبة للجنسريق، مادامت الفرصة

[1] شارل اندريه جوليان ، المرجع السابق ، ص 324.

[2] محمد العيد يشي ، المرجع السابق ، ص 196.

[3] محمد محيي الدين المشرفي ، المرجع السابق ص 143.

موجودة . ولكن بمجرد إنتهاء تلك القرصنة الوندالية إنعكست الوضعية تماماا .فأنقلبوا بتمردهم في البلاد نفسها، تدفعهم تلك الغريزة الحربية الهمجية ،وهذا ما حدث في عهد جنسريق 477م فظهرت الثورات والفتن الداخلية ،وفي ذالك الوقت ،أعلنت قبائل الأوراس إستقلالها ،عن الوندال. ولم تكتف بذلك فقط ،بل نزلت من الجبال إلى السهول المجاورة ودمرت وخربت بعض المدن الرومانية مثل تمقاد وباغاي . و إستولت على الجهات الخصبة الكائنة غربي الأوراس والمتاخمة لمملكة الحضنة ، وكانت قبائل الأوراس تخضع لملك إسمه يومناس، والحكم الدكتاتوري كان النهاية الطبيعية التي إنتهت اليها الفوضي. فظهرت القبيلة النوميدية القديمة الخاضعة لحكم أمير أو قائد . و حلت إفريقيا الليبية ، وتكونت عصابات الدوناتوس تحت نفوذ بعض ملوكهم. [1]

ومن هنا قامت ثورات مغاربية عديدة تطالب بتحرير البلاد في الوقت الذي نشبت فيه خلافات بين الوندال أنفسهم على السلطة حيث كثرت الدسائس والمؤامرات ضد كل حاكم ، لقد تبين للمغاربة أن الوندال مثل الرومان في القسوة والوحشية والإستغلال وشملت الثورة جميع المناطق من موريطانيا غربا إلى طرابس شرقا .ومن هذه الثورات والتمردات ثورة بنوميديا فقد ذكر بعض المورخيين أن الموريين أستولوا على موريطانيا حيث نهبوا وقتلوا الكاثوليك والوندال معا ، من دون تميز كما ظهر خطر زحف رجال الجمالة المنحدر ين من طرابلس يقودهم أمير يدعى كاباوون . [2]

وكان في سدة حكم دولة الوندال أنذاك جلداريق الذي قتل الأمير كاباوون، ثم إنتصر الأمير أنطلاس بن عنفان على جيوش الوندال وألحق بهم خسائر جسيمة، وقد كانت جيوش هذا الملك

[1] محمد العيد بيشي ، المرجع السابق ،ص197.

[2] محمد الصالح العود ،المرجع السابق ، ص 55.

من قبائل الفراشيش وهي قبائل جبلية و أنظمت اليهم قبائل لوا ته وهي قبائل جمالة معروفة بطرابلس، وهذه التمردات والثورات الناجحة التي أنهكت الدولة الوندالية كانت أغلبها حرب عصابات او عن طريق الجمال ويقول بروكوبيوس بأن الجيش الوندالي لا يحسن حرب المشاة والقتال على الأقدام بل كان الوندااليون فرسان خيل سلاحهم السيف والرمح ، وإن منهم من لا يعرف كيف تكون الحماسة فوق ظهور الجمال .وقد حاولوا الهجوم مرات ولكن أفراسهم كانت تخاف من منظر الجمال ومن رغائها فتعود عل أعقابها. وقد نجحت هذه الثورات، بفضل الإمدادات التي وفرتها القبائل الصحراوية كالجمال. ومن نتائج هذه الثورات:

1- انحصار النفوذ الوندالى في المناطق الساحلية.

2- تأسيس ممالك مستقلة: مملكة الأوراس، مملكة الحضنة، مملكة الطاوة، مملكة الجدار، مملكة هوارة و لواته.

3- سقوط الدولة الوندالية سنة 534 م بعد قرن من الاحتلال. [1]

7) أسباب سقوط الدولة الوندالية:

كانت تركيبة المجتمع في شمال إفريقيا في عهد الوندال ، مابين (430-534م) مكون من خليط من الشعوب . منها السكان الأصليين ، وهم الطبقة الغالبة على المجتمع ، والمستوطنين من الرومان ، والوندال ،ومن إنتقل معهم من القوط . إلا أن هذه التركيبة كانت غير متماسكة ، تحول بينها عدة عوامل كالعصبية ، و الدين و إختلاف طباع المجتمع ، ومزاجهم و هو ، ما نتج عنه الكثير من الخلافات .فالحضارة الرومانية لم تؤثر إلا على قلة قليلة جدا ، من المغاربة ، ونفس هذا الأمر استمر في عهد الوندال .فقد قضى الوندال .فترة إحتلالهم لشمال إفريقيا ،في سلسلة من الحروب، والثورات مع المحليين. [2]

[1] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص 197 .

[2] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص140.

كما نجذ أيضا حالة توتر بين الوندال المتعصبين للمذهب الاريوسي ،فأدى بهم ذالك إلى ممارسة سياسة البطش على الكاثوليك والعناصر الرومانية والليبية المناؤئة للأريوسية [1] ، فشكلوا كتلة معادية ومعارضة للمحتليين. ومن العوامل العدة التي ساعدت على الاضطرابات الداخلية ،ضعف الحكم والملوك بعد جنسريق ،وتدخل بعض الأمراء الوندال المتعصبين في الحكم والمعارضين لسياسة التسامح الديني مع الكاثوليك بل حتي سياسة التقارب الوندالى البزنطي

[1] الآريوسية: نحلة جديدة ظهرت في الاسكندرية وكانت مرتبطة بطبيعة المسيح . فالمعروف أن الكنيسة المسيحية منذ نشأتها تعتقد بوجود ثلاثة أقانيم :الأب والابن والروح القدس، وأن هؤلاء الثلاثة ليسوا الا واحدا في الجوهر .غير انه ظهر في الكنيسة من حين لأخر أناس يخالفون هذه العقيدة، فكانت الكنيسة الكاثوليكية، وهي كنيسة الدولة، تحكم علىها بالهرطقة وكان من جملة هؤلاء سابيليوس(القرن الميلادي الثالث) أسقف ليبيا الذي قال ان اللوجوس (الكلمة) هو المسيح وانه مظهر من مظاهر اللاهوت شأنه في ذلك شأن الأب والروح القدس، منكرا بقوله ذلك التميز بين الاب والابن والروح القدس، وكان منهم أيضا آريوس الذي كان على رأس كنيسة صغيرة في الاسكندرية سنة 318 م .وكان آنذاك شيخا معروفا بالتصوف متمتعا باحترام عدد كبير من الاتقياء والصالحين .وكان آريوس قد تعلم في حداثة سنه في أنطاكية بسوريا المذهب العقلي الذي يقول إن »الكلمة التي اتحدت بالمسيح ليست من نفس جوهر الرب وإن المسيح ليس الا مخلوقا، جاء من العدم، لا من نفس المادة الإلهية ، وأنه مر علىه وقت لم يكن موجودا، وأنه تبعا لذلك وبوصفه ابن الله لا يشارك الرب في شيء ولا يشبهه في شيء لأن الله ليس له شبيه .« كان آريوس بذلك يرمي إلى تأكيد وحدانية الله وقد فاته انه انما وضع المسيح في مرتبة ثانوية وجرده مما اتصف به من انه منقذ للعالم فمحا فكرة المسيحية الأساسية وهي فكرة الخلاص. واختلف آريوس عن سابيليوس في أن الأخير كان يعتقد بألوهية المسيح بينما كان آريوس يرى غير ذلك .وأدت دعوة آريوس هذه إلى انقسام كنيسة الاسكندرية بين مؤيد ومناهض، فانعقد بها سنة 320 م مجمع شهده نحو مائة قسيس وأسفر عن اتخاذ قرار بحرمان آريوس وعزله كما أمر بعزل جماعة من القسيس والشماسة الذين تمسكوا بآرائهم الأريوسية .إثر ذلك غادر أريوس مصر إلى فلسطين حيث راح يدعوا لمبدئه مما أدى إلى اتساع الخلاف حتى شمل جميع الكنائس المسيحية .وعند هذا الحد تدخل الامبراطور قسطنطين لتسوية النزاع فعقد مجمعا مسكونيا في نيقية سنة 320 م انتهى بإدانة آريوس وسجنه وبتحديد العقيدة الأرثوذكسية باعتبار المسيح الابن من نفس مادة الأب أي أنه يستمد صفة الألوهية من الرب ولكن المسالة لم تنته عند هذا الحد فقد اضطر الامبراطور قسطنطين فيما بعد أن يفرج عن آريوس بل وبدا يميل الىه فانبعث النزاع الديني من جديد وكان محوره مسألة» كيف تجتمع في شخص المسيح الطبيعتان الإلهية والبشرية. انظر : عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من اقدم العصور حتى الفتح الاسلامي ، دار تامنغاست للنشر ،ص 341.

،فأدى ببعض الفئات إلى الهجرة من شمال إفريقيا إلى بيزنطة وخاصة رجال الدين الأرثوذوكس في المقطعات الشرقية والأرستقراطيين الرومان[1] .

ومن الأسباب أيضا أن عند وصول جليمار Gelmar إلى الحكم بعد قلبه للنظام في 530م على جلداريق الذي ألقي علىه القبض وأودعه السجن أدي ذالك إلى إن قسام الوندال أنفسهم وزاد سخطهم على الحاكم الجديد جيلمار.[2]

كما أن دولة الوندال كانت محاطة بعدة أعداء ومؤامرات في الخارج نتيجة تعاملها السيئ في كثير من الأحيان . كما رأينا إستعمال سياسة التعصب الديني وأعتدائتها المتكررة على سواحل البحر الأبيض المتوسط والسفن التي تتجول به . وإحتلال بعض المقاطعات والجزر فنتج عنه خصومات مع الممالك الجرمانية الأخري وقد عملت الدبلوماسية البيزنطية بشتي الطرق إلى زيادة تأزم العلاقات بين الممالك الجرمانية الاخرى. [3] ويمكن حصر اسباب سقوط الحكم الوندالي في شمال افريقيا فيما يلي:

- انبعاث ممالك محلية [4].
- الصراع على السلطة بين أفراد العائلة الملكية الوندالية.
- انغماس الحكام الوندال في حياة اللهو والترف.
- اعتبار بيزنطة الوريث الشرعي للدولة الرومانية في بلاد المغرب[5].
- يلاحظ أنه لم يكن للوندال أثر حضاري يذكر بل العكس حطموا الكثير من أثار ممن سبقوهم.

[1] عبد اللطيف محمد البرغوثي ، التاريخ الليبي القديم ،المرجع السابق ،ص 341.

[2] محمد محمد مرسي الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1994 ، ص46.

[3] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص 197.

[4] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 245.

[5] محمد محمد مرسي الشيخ ، المرجع السابق ، ص45.

II. الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب 533 – 647 م:

انّ الفترة الاستعمارية خلال الاحتلال البيزنطي كانت الأكثر أهمية لدى المؤرخين والباحثين. فقد كانت المنطقة محط أنظار الإمبراطور البيزنطي جوستينيانوس Justinien [1] منذ زمن بعيد. حيث كان يسعى إلى إنشاء إمبراطورية عالمية ،في هذه المنطقة لاسترجاع أمجاد الإمبراطورية الرومانية . التي كانت خلف الحملة البيزنطية على البلاد، إلّا أنّ ذلك لم يكن السبب الرئيسي لوقوع بلاد المغرب ؛ تحت راية الاحتلال البيزنطي .إنّما يعزى ذلك إلى عدة عوامل مؤثرة من بينها الصراعات الدينية. [2]

ففي عام 533م نزل الأسطول البيزنطي بسواحل أفريقيا، حيث كان القائد البيزنطي المسؤول عن الأسطول بليزار Belisaire حذراً للغاية، إذ ظهر ذلك بمنعه قادته من استخدام القوة والعنوة في دخول قرطاجة، إلّا أنّه أشار لجيوشه في منطقة رأس كابوديه في الجزء الجنوبي من سوسة التونسية بدخولها والتوجه اليها، وحافظ القائد البيزنطي على التسلسل في قطع الأراضي المغاربية وجاء ذلك تجنباً للوقوع في الكمائن، وبقي كذلك حتى تمكن من قطع أراضي سوسة، ورأس ديماس، ولمطة، وسيدي خليفة دون أي صعوبات. [3]

1) أسباب الاحتلال: من بين أسباب الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب :

-تمتع البلاد بموقع استراتيجي هام .غنى البلاد بالثروات الهامة .

-رغبة القائد جوستنيان في إعادة أمجاد روما.

-السعي الدؤوب إلى فرض الحماية المطلقة على حدود الدولة البيزنطية من أي اعتداء خارجي [4] .

---

[1] ج . م. هسى ، العالم البزنطي ، تر: رأفت عبد الحميد ، دار روتبارنت للطباعة ،مصر ، 1997 ،ص 93.

[2] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص 197.

[3] محمد محي الدين المشرفي ، المرجع السابق ،ص 144.

[4] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 264.

2) سياسة الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب:

انتهج الاحتلال البيزنطي سياسة صارمة في فرض سيطرته على البلاد، حيث استخدم القوة العسكرية في ذلك، فأقام الحصون والمنشآت العسكرية ولجأ إلى تقسيم المنطقة إلى أربع مقاطعات يترأس كل منها قائد عسكري . و كان أسلوب التجويع و التفقير منتهجاً من قبل الإمبراطورية البيزنطية إذ أرهقوا كاهل الشعوب بالضرائب الكبيرة ومصادرة أملاكهم عنوة، الأمر الذي ساهم في انقسام المجتمع إلى طبقتين وهما: طبقة الروم البيزنطيين وهم الأثرياء، وطبقة المغاربة وهم الفقراء[1].

حيث كانت فكرة استرجاع المقاطعات الرومانية الإفريقية تراود كل الأباطرة البيزنطيين، إلى أن تمكن الإمبراطور جستنيان الأول (482م – 565م)، الذي كان حاكما على القسطنطينية منذ سنة 527م، من وضع حد نهائي للسيطرة الوندالية على الشمال الإفريقي عام 533م[2]. ومن جملة ما قام به جستنيان الأول قبل إعلانه الحرب ضد الوندال، تنظيمه حملة دعائية واسعة النطاق في أوساط الأساقفة الكاثوليك الذين أيدوه بكل حماس، إلى درجة أن مشروعه الحربي أصبح وكأن هدفه الوحيد يتلخص في نجدة الكنيسة الكاثوليكية[3].

ولما أتم كل الاستعدادات كلف بيليساريوس (500م–565م) ، أشهر قادة الجيش البيزنطي وأكثرهم قدرة وحنكة، بقيادة الحملة العسكرية. وقد تشكل الأسطول البحري البيزنطي من خمسمائة سفينة كان يقودها عشرون ألف بحار وعلى متنها عشرة آلاف من المشاة وخمسة آلاف فارس، وصلوا إلى الساحل الإفريقي في سنة 533م، وبعد معارك طاحنة استولوا على قرطاج بذات السنة. وعلى إثر ذلك فر الملك جليمار(530م–534م) ولكن البيزنطيين طاردوه

[1] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص198.

[2] يوسف عيبش ،الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية لبلاد المغرب اثناء الإحتلال البيزنطي ،أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ و آثار المغرب القديم ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية ، جامعة منتوري – قسنطينة، 2007 ، ص 27.

[3] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 267.

وتم إلقاء القبض عليه في سنة 534م . وهكذا انهزم الوندال في إفريقيا الشمالية بعد فترة من الزمان كانت كل شعوب الحوض المتوسطي تحسب لهم ألف حساب. و الواقع أنهم لم يكونوا أصحاب حضارة، ولهذا لم يتركوا تراثا ثقافيا ذا مغزى، هذا مع العلم أن جل ما يعرف عنهم لم يكن سوى عن طريق أعدائهم الذين من المحتمل أنهم سكتوا عن أشياء وبالغوا في أشياء أخرى[1].

ولما وطئت أقدام الجنود البيزنطيين التراب الإفريقي استقبلهم الكاثوليك بالحفاوة والترحاب واعتبروهم محررين، بينما بقي عامة السكان في حالة ترقب وكأن هذه الحرب ليست حربا تعنيهم، خاصة وأن القائد بيليساريوس استطاع إقناعهم بأن جنوده سيلتزمون باحترام أعراضهم وممتلكاتهم، وأن وجوده في إفريقيا هو في الواقع موجه ضد طغيان الوندال وبطشهم، وفعلا انساق السكان للدعاية الحربية البيزنطية ولم يستغربوا أن تحتفل الكنيسة الإفريقية بهذا الانتصار لأنها كانت هي المستفيد الأول، وسرعان ما استعادت هذه الأخيرة نشاطها وممتلكاتها التي صادرها الوندال[2].

بل أكثر من ذلك، لقد أصدر البيزنطيون قانونا إمبراطوريا سنة 535م يقضي بعزل المنشقين الدوناتيين و الأريوسيين عن الوظائف العمومية، مع المنع منعا كليا من القيام بأي نشاط ديني يتنافى والمذهب الكاثوليكي. كما بادر البيزنطيون إلى تقسيم إفريقيا الشمالية إلى سبع مقاطعات إدارية موزعة بدورها إلى أربع مقاطعات كنسية. ونظرا لضعف الكثافة المسيحية في الجهة الغربية، فإن موريطانيا الطنجية ، والقيصرية ،والسطيفية كانت تشكل مقاطعة كنسية واحدة فقط[3].

---

[1] ج . م. هسى ، المرجع السابق ،ص 94.

[2] يوسف عيبش ، المرجع السابق ، ص41 .

[3] محمد محمد مرسي الشيخ ، المرجع السابق ،ص46.

علما أن وجود البيزنطيين في موريطانيا الطنجية . كان يبدو منحصرا أساسا في مدينة سبتة ،التي تم اتخاذها كقاعدة غربية بيزنطية للمراقبة الأمنية. واتضح أن خطة الإمبراطور جستنيان الأول كانت ترمي في جوهرها إلى تمكينه من جمع السلطتين الدينية والدنيوية، إلا أن انشقاقات جديدة داخل الكنيسة نفسها وتفاقم الأوضاع السياسية البيزنطية حالت دون تحقيق طموحه. لم تكن الحيلة الدعائية المبنية على المهادنة الصورية لتنطوي على عناصر المحليين لمدة طويلة، فبعد عامين فقط على الاستعمار البيزنطي تحرك السكان المحليين في انتفاضات لا هوادة فيها ضد المحتل الجديد، بحيث استمرت إلى نهاية العصر البيزنطي بإفريقيا[1].

وخلال هذه المجابهات استطاع السكان المحليون، هزيمة وقتل ثلاثة من القادة البيزنطيين البارزين: تيودور (569م)، وتيوكتستوس (570م)، وامابليس 571م ، ولم يسبق لسكان المحليين أن نظموا مقاومة متواصلة بهذا الشكل وبهذه الحدة، حتى أن المؤرخ بروكوب [2] الذي رافق الحملة البيزنطية إلى إفريقيا سجل انخفاضا سكانيا كبيرا يقدر بخمسة ملايين من ذوي

[1] عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق ، ص 353.

[2] بروكوبيوس Procopius هو أشهر مؤرخ بيزنطي في القرن السادس الميلادي، عاش في عهد الامبراطور الشهير جستنيان، وعايش محاولة إحياء أمجاد الامبراطورية الرومانية ، ولد في فلسطين ، كان يجيد الإغريقية واللاتينية إلى جانب لغته الأم السريانية الآرامية، كما كان يعرف الفارسية والقوطية الجرمانية، انتقل في وقت مبكر إلى القسطنطينية ونال شهرة كبيرة في المحاماة. صار منذ عام 527 مستشاراً للقائد الكبير بليزاريوس حتى استدعاه جستنيان وعزله من مناصبه، وانصرف إلى تاليف كتبه في السنوات التالية، وشهد مرض الطاعون الذي تفشى في العاصمةعام 542 وترك وصفاً مؤثراً له. وقد أنعم عليه الامبراطور بلقب رفيع وجعله عضواً في مجلس الشيوخ 562. لا تُعرف معلومات عن سنة وفاته. تنقسم مؤلفات بروكوبيوس إلى ثلاث فئات هي: الحروب والتاريخ السري والأبنية، وصف فيها أهم أحداث عصره ومختلف أوجه الحياة المادية والاجتماعية والثقافية. يعالج في مؤلفه الرئيس de Bellis تاريخ الحروب في عهد جستنيان في ثمانية كتب ، خصص الكتابين الأول والثاني لتاريخ الحروب الفارسية التي انتهت أولاها عام 532م، ويروي في الكتابين الثالث والرابع تاريخ الحرب مع الوندال، التي انتهت بالاستيلاء على عاصمتهم قرطاجة عام 533. ويصف في الكتب الثلاثة التالية الحروب التي جرت في إيطاليا على القوط الشرقيين وتدمير مملكتهم. أما الكتاب الثامن فهو ملخص الأحداث التي جرت بعد عام 540. عاصر بروكوبيوس هذه الحروب.

الأصول الرومانية ومن المتعاونين مع البيزنطيين حيث غادروا كلهم المقاطعات الإفريقية في اتجاه اسبانيا تفاديا لهجمات السكان الأصليين و هذه بطبيعة الحال إشارة أخرى مباشرة يستفاد منها بخصوص النسبة المحدودة جدا لانتشار الديانة المسيحية في المجتمع المغاربي. إذ أنه ليس من المنطقي عدم تدخل الكنيسة الإفريقية، التي كانت تعتبر بنتا شرعية لكنيسة روما، من أجل تهدئة الأوضاع وحث المغاربة على التعايش السلمي مع إخوتهم في الدين. الواضح أن وزنها كان خفيفا وأن وجودها كان قبل كل شيء مرتبطا بجاليات أجنبية كانت لها علاقة استيطان استعماري بالمنطقة. ولو كان الوضع خلاف ذلك لما آلت الأمور إلى ما آلت اليه[1].

3) نظام الحكم :

لقد كانت إفريقيا يحكمها واليا يتمتع بسطوة واسعة، ومركزه في مدينة قرطاجنة ، ولم يتغير هذا النظام إلا في سنة 587 م ،حيث استطاع جناريوس إخماد ثورة المغاربة فكان بهذا أول حاكم عام عسكري لقب بالبطريق، وكان وراء جيش من الموظفين منتشر على كامل البلاد ومعظمهم مختص بالتحصيل وجمع المال، حيث كانت الحكومة البيزنطية تعتمد في سياستها على نهب المال[2]. إلا أن تطورات الأوضاع كشفت عن ضرورة تعديل هذه الإستراتيجية التنظيمية . و هو الأمر الذي أخذ منحنى جديدا ،حيث أسس منصب الأرخون على قمة الهرم الإداري في عهد الإمبراطور موريسن Maurice .[3] (انظر الشكل 9)

الحياة الاجتماعية:

لقد كانت سياسة الروم في بادئ الأمر تميل لاسترضاء الأهالي وذلك من أجل الاطمئنان لهم وقد استعملوا في ذلك مختلف أنواع وأساليب الدهاء الدبلوماسي، وكان هدفهم هو تجنيد

[1] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص 199.

[2] المرجع نفسه، ص 200.

[3] يوسف عيبش ، المرجع السابق ، ص 72.

الأهالى ضد الواندال، وقد وصل البيزنطيون إلى الغاية المرجوة والهدف المنشود، إذ اطمئن المحليون لهم و رأوا فيهم المنقذ من استبداد الوندال عليهم، إلا أن هذه السياسة لم تدم طويلا، حيث انه تحقق الهدف البيزنطي في القضاء على أعدائهم الوندال. ثم تسارعوا اليهم يعاملونهم معاملة العبيد ويرغمونهم على الطاعة، وسلاحهم في ذلك كله الشدة والعنف بالإضافة على إلقاء العداوة والبغضاء بينهم بقصد التفرقة، بالإضافة إلى إرهاقهم بالضرائب الباهظة، وهذا ما حمل الناس إلى إعلان كراهيتهم وإعلان الثورة والعصيان على الحكم آنذاك[1].

الحياة الدينية:

لقد كان من بين أهم الأسباب في انهيار الإمبراطورية البيزنطية هي تلك النزاعات والنقاشات الدينية الفارغة بين البيزنطيين، ومما زاد في إشعالها وبعث التعصب المذهبي من مرقده، حينما أعلن الإمبراطور جستينيان وجوب اعتناق المذهب الكاثوليكي من دون غيره وكان ذاك سنة 535 م، في حين كان المحليون في ذلك الوقت على المذهب الأرثوذكسي وانتشار المسيحية في ذلك الوقت في بلاد المغرب كان يشمل العديد من المناطق، في واد شلف وتلمسان والأوراس وغيرها من المناطق ، ولقد تأثرت هذه الجهات بهذه المناقشات والمشاحنات الدينية واتسعت شقة الخلاف بين سائر الأوساط، وما زاد رقعت الخلاف اتساعا هو ذلك القانون الذي أصدره هرقل الأول سنة 631 م معلنا فيه بتعاليم جديدة ينبغي اتخاذها كمذهب آخر جديد، فقوبل هذا القانون من طرف الرعية بالرفض، فأخذت الحكومة باضطهاد المخالفين لها وخاصة اليهود، ولقد عرفت تلك المناقشات باسم المناقشات البيزنطية[2].

الثقافة والحضارة والعمران:

لم يذكر المؤرخون حالة البلاد الأدبية والثقافية في العهد البيزنطي، أما فن المعمار فقد شيد البيزنطيون بعض الكنائس وأقاموا الأسوار حول المدن كأسوار: تنس، وشرشال، وسطيف،

[1] محمد البرغوثي ، التاريخ الليبي القديم ، المرجع السابق ،ص 356.

[2] يوسف عيبش ، المرجع السابق، ص 117.

وميله وتمقاد، وقالمه، وتبسه . أما ثراء البلاد ونشاطها الاقتصادي فإن مؤرخي شمال إفريقيا كادوا أن يتفقوا بالإجماع على أن العرب وجدوا البلاد ساعة نزولهم بها، كثيرة الزرع وافرة الثمرات، ويؤكد ديل أن في السهول الواسعة المهجورة التي تمتد جنوبي هضبة الأوراس وفي الإقليم الجبلي الذي يتوسط سهل تونس، في كل هذه النواحي يجد الإنسان في كل خطوة آثار مدن كبيرة أو صغيرة وقرى آهلة وأراضي مزروعة على امتداد عظيم[1].

4) انهيار الاحتلال البيزنطي:

إن سوء الإدارة ونظام الحكم الجائر، و غياب حسن السياسة مع الأهالى وكثرة الحروب والثورات والفتن و التعصبات المذهبية و الخلاف الديني، وتدخل قساوسة روما في الحكم وتسلطهم على الحاكم،وغيرها من الأسباب هي التي جعلت نظام الحكم البيزنطي يضعف شيئا فشيئا، ويومئذ افترقت الكلمة وظهر الانحلال التام في الإدارة والأخلاق وضعفت الحكومة، ولقد عمل البطريق جويجريوس الثاني[2]، على انفصال إفريقيا عن بيزنطة بقطع العلاقة بينه وبين الإمبراطورية الشرقية وتحصن بعاصمته سبيطلة بالجنوب الغربي من ولاية تونس وأعلن ثورته[3]على الحاكم العسكري الذي كان يشاركه في الحكم سنة 607 م ولقد كان هذا منعرجا حاسما، إذ دبت الفوضى واشتد الخلاف، واشتبكت الثورات ،واستمر الحال على هذا إلى أن أذن نور الإسلام بالشروق فسطع نوره بالمشرق وتمهدت السبل للعرب الفاتحين [4]ففتحوا إفريقيا سنة 27 هـ /647 م[5] وقضوا على تلك الاضطرابات كلها وقتل جريجريوس، وبموته انقضت دولة البيزنطيين من إفريقيا بعدما قضت بها 113 سنة . [6]

---

[1] يوسف عيبش ، المرجع السابق ، ص96.

[2] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص 201 .

[3] محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي ،المرجع السابق ، ص 282.

[4] محمد العيد بشي ، المرجع السابق ، ص 202.

[5] محمد محي الدين البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 160.

[6] المرجع نفسه ، ص 381.

نلاحظ مما تطرقنا له في هذا الفصل ان فترة الاحتلالين الوندالي والبيزنطي لم تحض بقدر وافي بالبحث والتدقيق مقارنة بالفترة الرومانية التي اخذت حصة الاسد من اهتمام المؤرخين المغاربة ، فمثلا فترة العصر الوندالي تبدو فقيرة جدا من حيث المصادر ومعظم مؤرخينا المغاربة اعتمدو على ترجمات كتب بروكوبيوس الذي كانت له أراء سلبية عن الوندال عموما بحيث ظهر ذلك في مؤلفات المغاربة عبر وصف الوندال بالتوحش وانعدام التحضر وغيره من الأوصاف بالرغم ان فترة بقائهم ببلاد المغرب كانت حوالي قرن من الزمن .

بل وركزوا في معظم كتاباتهم عن الاختلاف المذهبي وحروب الطوائف والمذاهب المسيحية بين الاريسويين وغيرهم من الارثوذوكس والكاثوليك مع من سبقهم ولحقهم من رومان وبيزنطيين .

وكذلك العصر البيزنطي فهذه الفترة هي الاخرى لم تحض بقدر كاف من البحث ولا تزال الكتابات المتوفرة بكثرة عن هذه الفترة هي الكتابات الأجنبية ولعل معظم ما ترجم وتم التفصيل فيه بإفاضة هي المرحلة الاخيرة والتي كانت بالضرورة متعلقة بحركات الفتح الاسلامي واندرجت تحت مواضيع بلاد المغرب القديم قبيل الفتح الاسلامي في السواد الاعظم من الكتب العربية و المؤالفات المغاربية خصوصا . رغم ان استقرار وانجازات الامبراطورية البيزنطية كانت زاخرة بمثقفيها ومؤلفيها وكتابها الذين عاصروا فترة الدولة بكل مراحل عزها وانحدارها وتوسعاتها بالجوار وببلاد المغرب القديم خاصة .

وانه لمن المثير للشك في طروحات المؤرخين الغربيين الذين يميلون للنزعة الاستعمارية على التاريخ المغاربي . حيث يعتمد هؤلاء المؤرخين على محددات ثلاث:

أ) التضاريس الجغرافية التي تكون قد سهلت النزعة المحلية وصعبت الوحدة السياسية رغم أنه يمكن ملاحظة أمثلة واضحة عن الوحدة السياسية والقوة البحرية في المنطقة.

ب) العرق: إذ نجد أن المؤرخين الغربيين أمثال قسال سيتفاني (Stephanie Gsell) و قوثييي (Gauthier) و جوليان (Julien) و لاسو (lassus) وبرثييي (Berthier) وكامب (Camps) يعتبرون أن المجتمع المغاربي المعاصر مشابه للمجتمع البربري القديم بغض النظر عن قرون من التاريخ المتلاحق المتجدد، فهم ينظرون إلى هذا المجتمع أنه "بدائي" وذو أشكال أولية من التنظيم الاجتماعي وأنه يملك "شخصية سلبية" إضافة إلى غياب الأصالة والإبداع.

ج) المحدد الاجتماعي: إذ يعتمد المؤرخون الفرنسيون أمثال (Gauthier) على أنه صراع بين البدو والحضر وأن هذه البداوة ساهمت في إنهاء السيطرة الرومانية والبيزنطية بالمنطقة – و لم يستطع هؤلاء المؤرخين بفعل ذلك قراءة الجوانب الفاعلة في حياة البدو وبالأخص حبهم الشديد للحرية والاستقلال.

وهذه المحددات الثلاثة التي تنتهي إلى القول بتأخر المجتمع المغاربي في التمدن والتنظيم والشخصية تمهد إلى إعطاء الطابع الحضاري للاستعمار الروماني او البزنطي ...

حيث يمكن القول أن التاريخ السائد في المراحل الاستعمارية تأريخ حظوظ سيئة للمغاربة، أي سوء حظ في عدم الاستفادة من القيم الحضارية للفترة الرومانية، سوء الحظ في قبول ما دعاه الرومان بالتحضر... وأخيرا سوء الحظ في وجود مؤرخين محليين يكتبون بانصاف تاريخ بلادهم دون التأثر بثقافة المحتل الاجنبي انذاك ... فإن بلاد المغرب خلال تاريخه لم يدرس سوى عبر محتليه الأجانب ومن ثم سعى إلى تقديم تقسيم جديد لتاريخ المغرب بدءا من تاريخ المغرب تحت السيطرة الرومانية قديما إلى تاريخ المرحلة الاستعمارية الوندالية وصولا للاحتلال البزنطي. ومن جهة أخرى فإن أصحاب هذه المؤلفات لا يدلون إلا نادرا بآرائهم الشخصية في الأخبار التي يوردونها؛ فإنهم يكتفون بتقديم عناصر القضايا، المسلمة وغير المسلمة، ولا يتورطون بإبداء حكمهم الخاص، بل يتركون ذلك للقراء.

خاتمة

من خلال بحثنا نستخلص مجموعة من النتائج الهامة :

- ❖ تسبب التنوع التضاريسي و المناخي في بلاد المغرب القديم في صعوبة التواصل بين ربوعه وأقطاره.
- ❖ عرف بلاد المغرب القديم تنوعا بشريا باعتبارها منطقة جذب لمجموعة من الأجناس كالفينيقيين والإغريق والرومان و غيرهم ، دون اهمال ذكر وجود عنصر بشري محلي أصيل. مما شكل تمازجا ثقافيا نتج عنه تنوع حضاري.
- ❖ عرفت سواحل بلاد المغرب القديم إنشاء مجموعة من المستوطانات الفنيقية التي سبقت تأسيس قرطاجة ، وهذه الاخيرة تميزت بمظاهر حضارية متفوقة مما جعلها تحتل الزعامة في غربي البحر الابيض المتوسط.
- ❖ عرفت الممالك المغاربية تقسيمات ادارية بعد الاحتلال الروماني وتحولت الى مقاطعات تابعة للروما كإفريقيا البروقنصلية و موريطانيا القيصرية والطنجية.
- ❖ شهدت بلاد المغرب عدة ثورات ضد الاحتلال الروماني اهمها ثورة يوغرطا وتاكفاريناس.كما تعرضت بلاد المغرب القديم للاحتلالين تباعا للاحتلال الروماني: هما الوندالي والبزنطي . حيث دام الاحتلال الوندالي حوالي قرن من الزمن وشهد عدة مقاومات من طرف السكان المحليين. و نتجت عدة ثورات ومقاومات طيلة فترة تواجد البزنطيين بالمنطقة طيلة قرن و ثلاثة عشر سنة .
- ❖ عندما ننتقل بين كتب المؤرخين المغاربة ، نتبين وجود مسافة في كثافة وعمق الخطاب ونمطية المعالجة و غزارة المعلومات التاريخية بالفترة المدروسة ، بالاضافة للغة المركبة، لغة يطغى على استدلالها طابع الابستمولوجي [1]، في سياق البحث عن مسوغات نظرية تسمح باستعمال مفهوم المؤرخين في فضاء تاريخي مخالف للفضاء الذي تبلور في إطاره المفهوم العام للتآريخ ، فإن اهتمامهم بالتاريخ المحلي ، يستدعي

[1] تستعمل كلمة إبيستيمولوجي (Epistemology) ، للدلالة على علم المعرفة. وهي مؤلفة من جمع كلمتين يونانيتين : *episteme*بمعنى: معرفة، و *logos*/بمعنى دراسة؛ فهي إذا، عند الغرب، دراسة نقدية للمعرفة.

الشواهد والمعطيات من التجربة التاريخية الغربية التي تبلور المفهوم في إطارها، كما يستعرض المعطيات التاريخية العربية، التي تُمَكِّن من استعارته واستخدامه لرسم ملامح أدوار الكتاب في عصورنا الحديثة.

❖ اعتمد الباحثون في مؤلفاتهم على مراجع أساسية كالمصادر الكلاسيكية الاغريقية و الرومانية التي زامنت العصر القديم ، شكل سندهم التاريخي، حيث يتعلق الأمر بكتابات هيرودوت ، سالوست ، بلين الكبير و بروكوبيوس وغيرهم ، حيث يمكن ان نستخلص ان الكتابات المحلية التي تطرقنا لها ، أن ظاهرة المؤرخين في بلاد المغرب ارتبطت في الفترة الحديثة بثلاثة معطيات رئيسية:

1 –معطى حضاري سياسي ، قوامه ظهور المدن واستقلال البلدان المغاربية من يد المستعمر.

2– معطى ثقافي، تمثل في حركة الترجمة الواسعة للمصادر الكلاسيكية و مؤلفات الغربيين المحدثين كستيفن قزال وغابريال كامبس و شارل اندريه جوليان وغيرهم.

3–معطى مهني، برز في ظهور فئة الجامعيين المحليين.

إلا أن الباحث عند مراجعته لتاريخ المغاربة القديم، وهو المطلع على كثير من معطيات هذا التاريخ النظرية والسياسية و العقائدية بشتى انواعها و اطوارها ، يحدد طبيعة المؤرخ في الفضاء المعرفي الحديث كما يلي: المؤرخ يعمل بفكره ، وهو ينتمي إلى الخاصة، كما ينتمي إلى الوسط الحضري، مرجعيته المركزية تتحدد في الوصول للحقيقة ، يُفكر من خلالها ويسعى اليها، وهو إضافة إلى كل ذلك يستطيع تحويل الحقيقة التاريخية إلى رأي، إنه في نهاية التحليل، كما يوضح ذلك المؤلفين المحدثين، يمارس الفعل التاريخي والعمل الفكري بتوسيط الارجح دوما بناء على من سبقوه من مؤرخين كلاسيكيين وغربيين بالاضافة للادلة الاثرية .

❖ ان مسألة ظهور فئة المؤرخين المغاربة، يربط هذا الظهور بالإشكال السياسي، الذي يرتبط بدوره بالرغبة في كتابة تاريخ بأقلام محلية للمنطقة وما تَوَلَّدَ عنه من إشكالات بالنسبة للفترات المجهولة – فجوات– في تاريخنا كمغاربة ويمكن استعراض أجيال المؤرخين كما يلي:

– فئة الاوائل لبناء تاريخ محلي عبر حركة الترجمة .

– فئة الذين تصدروا بناء التراث التاريخي المحلي باللغة العربية.

❖ في هذا المستوى من الكتابة يشعر قارئ المؤلفات المغاربية المحدثة، بأن الكتاب يشيرون دون توقف للأحداث التاريخية ، وبمقدار كثافة المعلومات ذات النفحة الابستمولوجية البارزة، نشعر بالصبغة التحليلية التاريخية، التي تغطي بالاشارة العابرة تاريخاً حافلاً بالصراعات السياسية والزاخرة بالاحتلالات والحركات الاستقلالية ونشأ ة الممالك بارجاء المنطقة، تاريخاً مؤسساً على قراءات وتأويلات يصعب حصرها بماضي المغرب القديم، وآليات تحوله عبر الزمان بنفس الحيز الجغرافي.

❖ ولا يتعلق الأمر بالحقبة المغاربية القديمة وحدها، بل إنه يلجأ إلى مقارنتها بمعطيات وسيطية تنتمي إلى مجال التاريخ الأوروبي والمجال المتوسطي عموما ، وهنا يتم القفز على أمور متعددة، يسكت عنها لحساب آلية في الاستثمار المعرفي المبني والمُوجَّه حسب المدارس .

❖ ان الكتابة التاريخية التحليلية المقارنة ، لا يعني أنها تخلوا من التركيب، بل إن المقصود أولاَ وقبل كل شيء، هو رصد نمطيتها العامة. ذلك إنها تضمنت أيضاً أبعاداً في التأويل ذات طبيعة إشكالية، كما تضمنت جملة من الأحكام، وطريقة في الترتيب تطرح كثيراً من الأسئلة في طريقة عرض وتحليل لنماذج من كتابات المؤرخين المحدثين كمحمد الصغير غانم ومحمد الهادي حارش و ابراهيم العيد بش ي وغيرهم .وهنا بالذات يحضر المستوى البيداغوجي في الكتابة، مستوى الممارسة الفعلية لما يسمى بأدلجة المفاهيم، حيث يقومون بجمع وترتيب، وإعادة صياغة المعطيات، التي تُمَكِّنُنا ابتداء من الآن فصاعداً أن نسمي غانم و حارش –نموذجا – بالمؤرخين، على شاكلة مؤرخي الحضارة الغربية مثل قزال و كامبس التي تبلور في سياق تطورها التاريخي مفهوم المؤرخ. مع الأخذ بعين الاعتبار الحيثيات الفكرية المتعلقة بالموروث التاريخي

المغاربي، بمختلف الملابسات الخصوصية التي شكلت شرط وجوده التاريخي والفكري حسب المدرسة التاريخيانية، والنظرية النقدية للحدث .

الملاحق

الشكل 1: نقيشة توضح صلاية التاحنو [1]

[1] مها عيساوي ، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص86

الشكل 2: جغرافية بلاد المغرب[1]

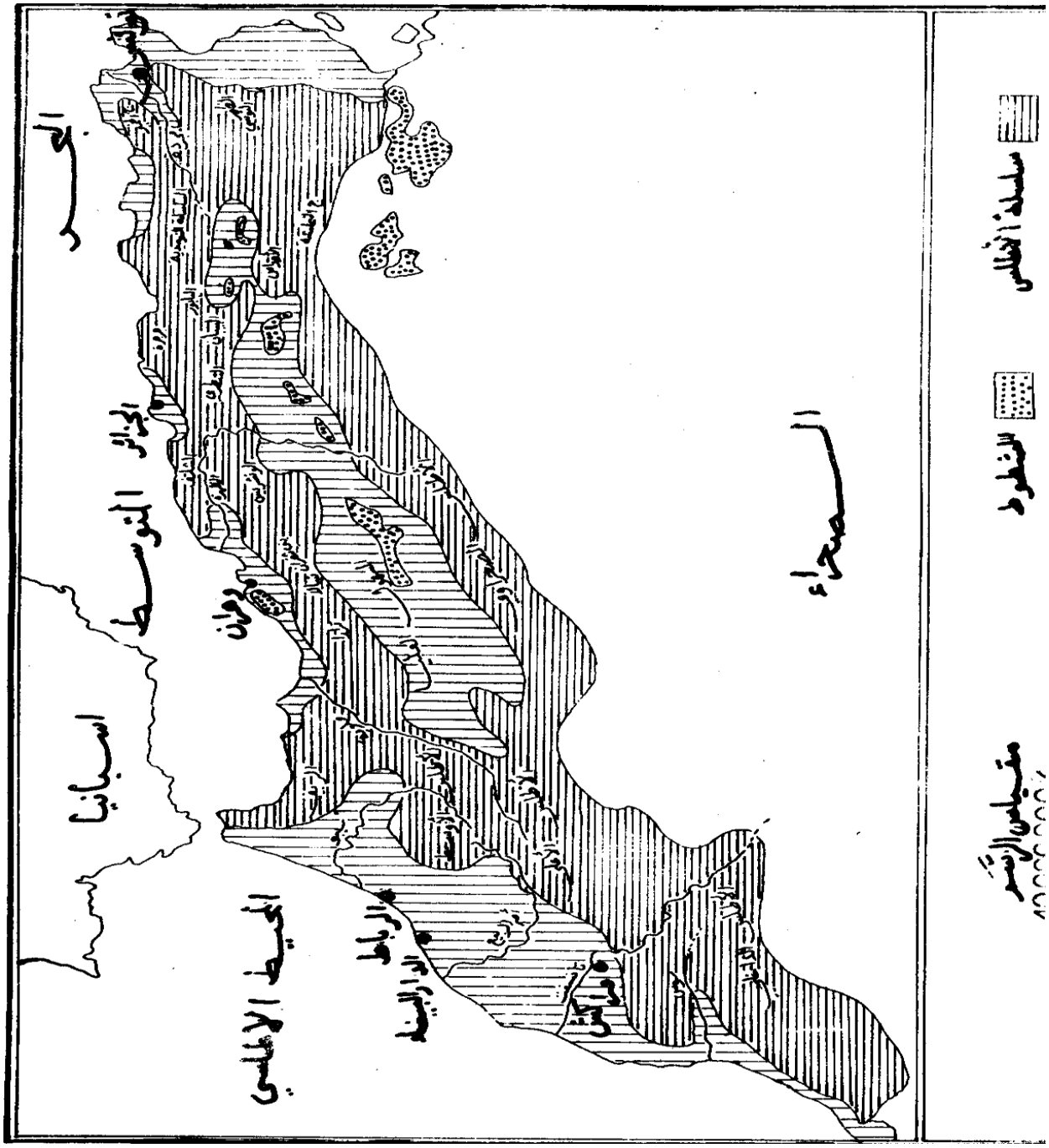

[1]محمد الهادي حارش :التاريخ المغاربي القديم ، المرجع السابق ، ص19

الشكل 3صورة الاله بعل حامون[1]

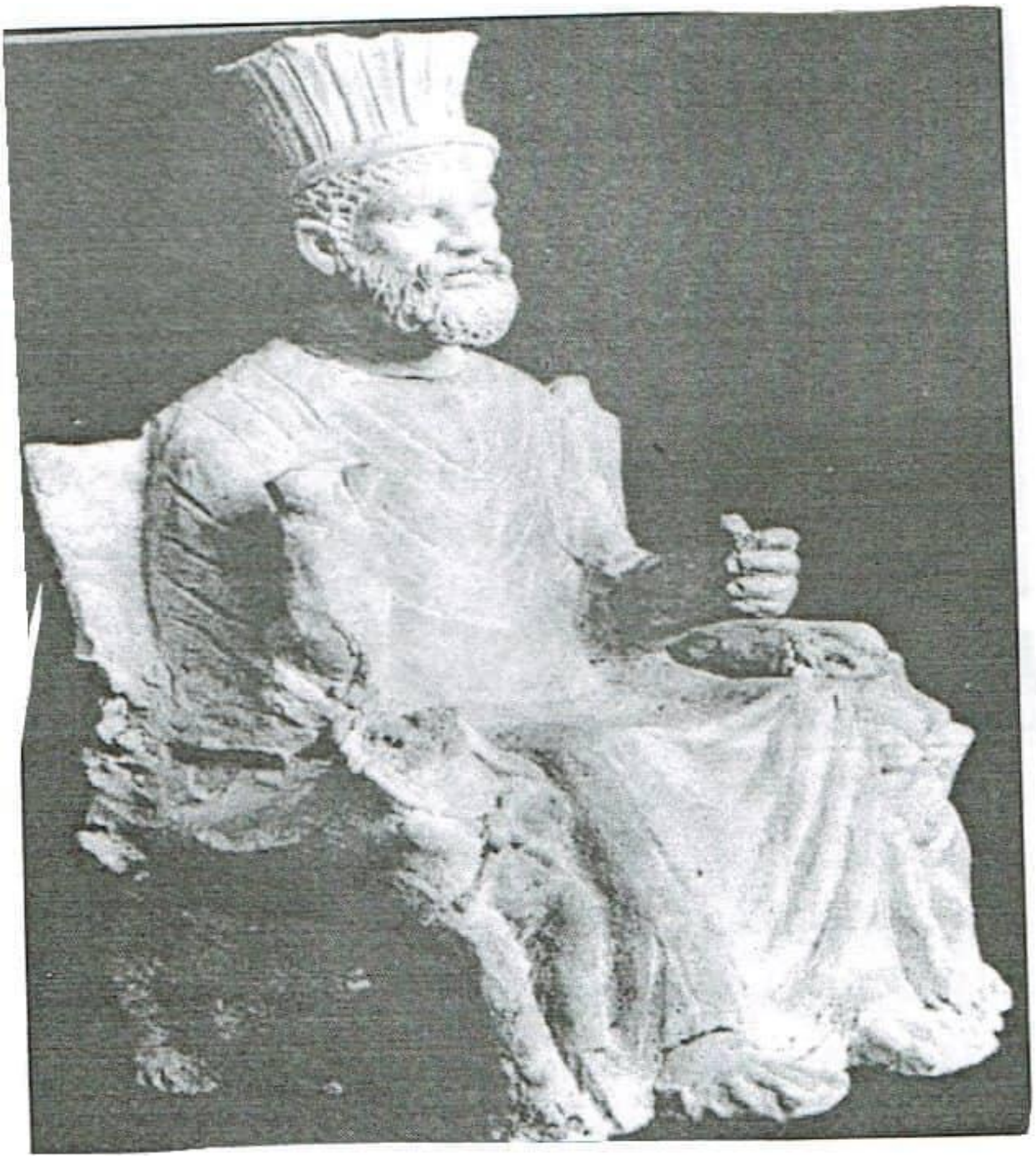

[1] محمد الصغير غانم ، نصوص بونية ليبية ، المرجع السابق ، ص101

الشكل 4: صورة لضريح دوقا[1]

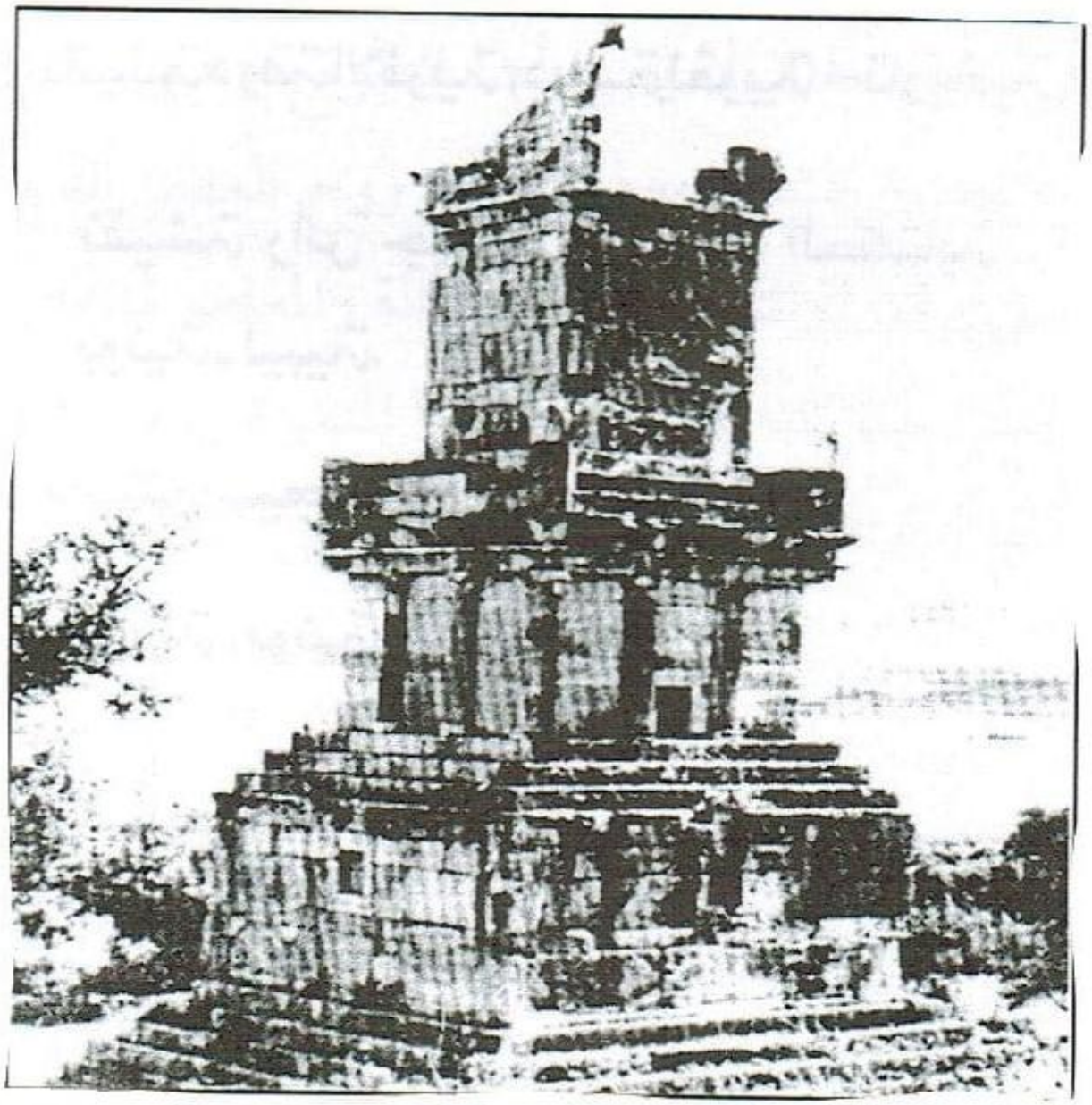

[1] محمد الصغير غانم ، نصوص بونية ليبية ، المرجع السابق ، ص 186

الشكل 5 : ضريح الخروب[1]

[1] محمد العربي العقون ،المرجع السابق، ص 222.

الشكل: 6 حدود السيطرة الرومانية لبلاد المغرب [1]

[1] محمد البشير شنيتي ،الاحتلال الروماني لبلاد المغرب ، المرجع السابق ص 85.

الشكل7: موريطانيا القيصرية. [1]

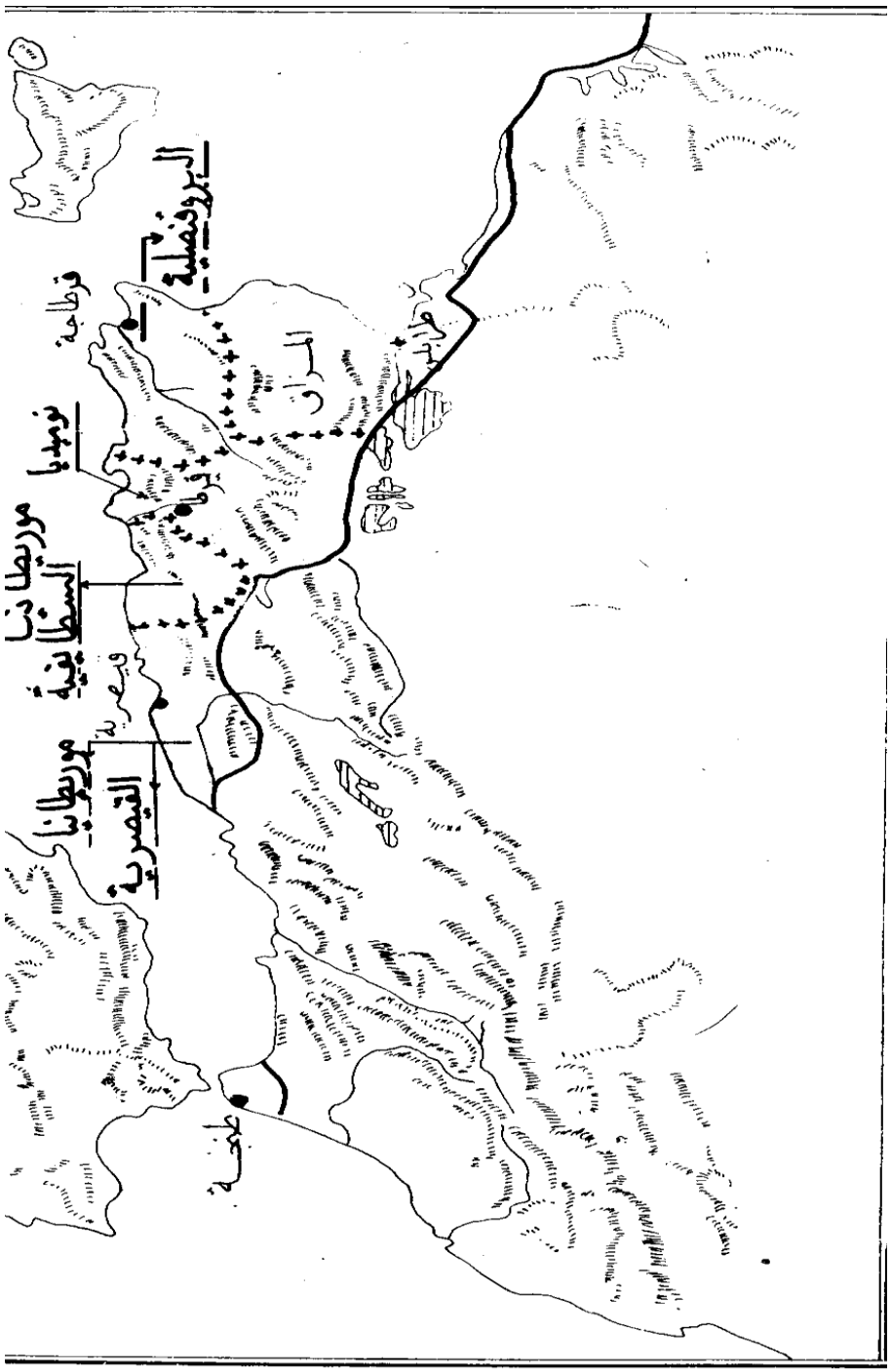

[1] محمد الهادي حارش :التاريخ المغاربي القديم ، المرجع السابق ، ص199

الشكل :8 حدود السيطرة الوندالية[1]

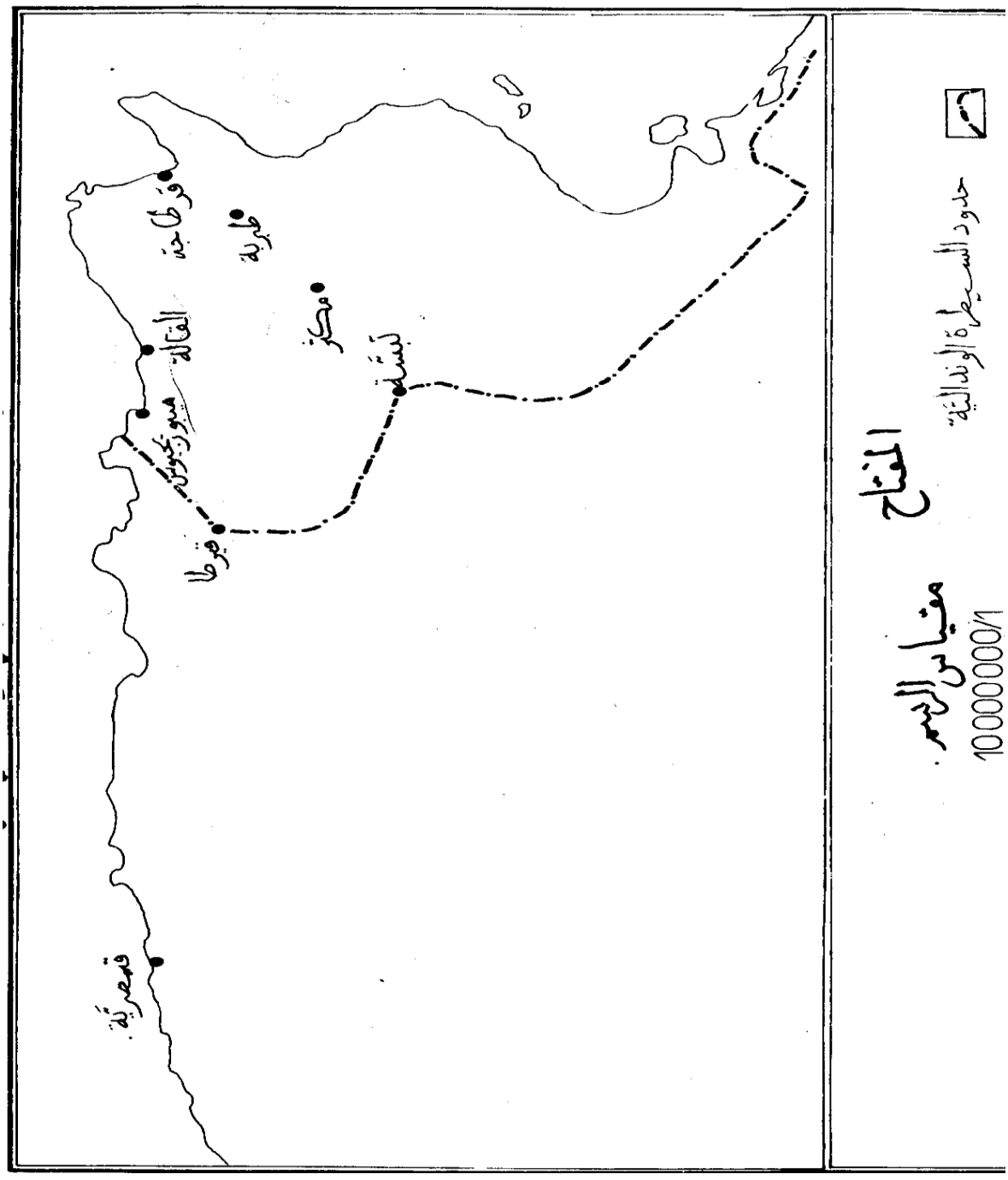

[1] محمد الهادي حارش :التاريخ المغاربي القديم ، المرجع السابق ، ص243.

الشكل 9:حدود الاحتلال البزنطي لبلاد المغرب.[1]

[1] محمد محي الدين المشرفي، افريقيا الشمالية في العصر القديم ،المرجع السابق ، ص149

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا – المصادر :

I. باللغة العربية:

1 – القرآن الكريم .

2 – ابن خلدون عبد الرحمان ، كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، م 3 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968.

3 – سالوست ، الحرب اليوغرطية ، (ب ، ط) ،تر : محمد المبروك الدويب ، منشورات جامعة بنغازي ، ليبيا ، (ب ، س) .

4 – سترابون ، الجغرافيا ، (ب ،ط) ، تر : محمد مبروك الدويب ، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا ، 2006 .

5– فرجيل ، الإلياذة ، تر : سلام خالدي عميرة ، دار الملايين ، بيروت ، 1995.

6 – كلاوديوس بطليموس ، جغرافيا ليبيا و مصر، ط 1، تر : محمد المبروك الدويب ، منشورات جامعة قاريوس ، ليبيا ، 2004.

7 – هيرودوت ، تاريخ هيرودوت ، ط 1 ، تر : عبد الإله ملاح ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية ، 2001 .

8 – هيرودوت ، أحاديث هيرودوت عن الليبيين(الأمازيغ) ، (ب ، ط) ، تح :مصطفى الأعشى ، مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب ، 2009 .

II. باللغة الفرنسية:

1– Pline L' Ancien ,Histoire Naturelle , paris , 1980 , XIII24 : XIV.

ثانيا – المراجع :

1 – البرغوثي عبد اللطيف محمد ، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي ، (د .ط) ، دار تامنغاست للنشر ، الجزائر، (د .س) .

2 –بشي محمد العيد ، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديم(دراسة حضارية في قبل التاريخ وعبر التاريخ) ، (ب.ط) ، دار هومة ، الجزائر ، 2008 .

3 – جاردز ألن ، مصر الفراعنة ، ط 2 ، تر: نجيب مخائيل ، مر: عبد المنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987.

4 – حارش محمد الهادي ، التاريخ المغاربي القديم ، السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي (ب ، ط) ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ،1994.

5 – حارش محمد الهادي ، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة ، (د .ط) ، دار هومه، الجزائر ، 2011 .

6 – جوليان شارل أندري ، تاريخ إفريقيا الشمالية ،(د . ط) ، تر : محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس

7 – ديكريه فرانسوا ، قرطاجة أو امبراطورية البحر، ط 1، تر: عز الدين أحمد عزو، دار الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1996.

8 – ديكريه فرانسوا ، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، 1994.

9 – ديورانت ويل ، قصة الحضارة ، مجلد 3 ، ج 1 .

10– زرقانة إبراهيم الحضارة المصرية في فجر التاريخ ،(ب ، ط)، دار المعارف ، القاهرة، 1948.

11– زرقانة إبراهيم أحمد وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم،(د . ط) ، دار مصر، مصر،(د . س) .

12– السلماني أحمد حسن ، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة ، دار القصبة ، الجزائر، 2017 .

13– السيد محمد مها ، الحصون و التحصينات الدفاعية في شمال إفريقيا في العصر الروماني ، مصر ، 2008 .

14 – شنيتي محمد البشير ، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146 ق.م– 40 م) ، (د . ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1982 .

15 – شنيتي محمد البشير ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م – 40 م) ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر(ب ، س) .

16– شنيتي محمد البشير ، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال ، ط 1 ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر (د. س).

17– شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر ، (د.ط) ، دار الحكمة ، الجزائر، 2003.

18– شوقي خير الله، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب. ط 1، دار النشر (مركز الدراسات العلمية)،(ب.ب) 1992.

19– الشيخ محمد محمد مرسي ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ،(ب ، ط) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1994 .

20– العقون محمد العربي ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم ، ط 1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2008 .

21– غانم محمد الصغير ، النصب القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا (ب ، ط) ، دار الهدى للطباعة و النشر،عين مليلة ، الجزائر ، 2012 .

22– غانم محمد الصغير ، مواقع و حضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، دار الهدى ، ط 1 ، عين مليلة ، الجزائر ، 2003 .

23 – غانم محمد الصغير ، سيرتا النوميدية النشأة والتطور ، ط 1 ، شركة العلا ، عين مليلة ، الجزائر(د. س) .

24 – غانم محمد الصغير، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003 .

25 – غانم محمد الصغير ، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، (د . ط) ، دار الهدى، الجزائر،(د . س).

26– غانم محمد الصغير ، المملكة النوميدية و الحضارة البونية ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2006 .

27 – غانم محمد الصغير ، نصوص بونية – ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم ، (د.ط) ، دار الهدى ، عين مليلة ،الجزائر ، 2012 .

28 – فخري ماجد ، مسيرة الحضارة. قرطاج وروما، م 1، (د . ط) ، تر: شاكر مصطفى، الشركة العالمية للتوزيع والإعلان، (د . ب) (د . س) .

29 – الفرجاوي أحمد, بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة,(د . ط) ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون, تونس,1993.

30 – فرحاتي فتيحة ، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني (213 / 46 ق.م) ، منشورات أبيك ، الجزائر ، 2007.

31 – قزال ستيفان، تاريخ شمال إفريقيا القديم ، ج 1 ، (ب، ط) ، تر : محمد التازي سعود ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، 2007 .

32– كونتو .ج ، الحضارة الفينيقية، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، مرا: طه حسين، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، (د ت).

32 – متري نجيب ، كتاب ملخص التاريخ القديم، (مقتطف من أصدق المصادر وأصحها)، ف6، (د . ط) ، مطبعة المعارف ، مصر، 1331 هـ–1913م .

33 – المحجوبي عمار، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146– 235 م)، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2001 .

34 – المشرفي محمد محي الدين ، إفريقيا الشمالية في العصر القديم ، ط 4 ، دار الكتب ، لبنان ، (ب. س).

35 – منجتون ب.هـ. وار ، (تاريخ إفريقيا العام) العصر القرطاجي ، م2 ،(د.ط) ، إش: جمال مختار، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونيسكو، 1985.

36 – مهران محمد بيومي ، مصر والشرق الأدنى القديم ،(ب ،ط) م 4 ، ج1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989.

37– مهران محمد بيومي ، مصر والشرق الأدنى القديم (المغرب القديم). دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1410هـ–1990م .

38– ميادان مادلين هورس ، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، ط 1 منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1981.

39- هسى . ج . م ، العالم البيزنطي ، تر: رأفت عبد الحميد، دار روتبارنت , مصر، 1997.

41 – يوسف جوزيف نسيم ، تاريخ الدولة البيزنطية ، دار المعرفة البيزنطية ، مصر، 2005.

42 – يولم دنيس ، الحضارات الإفريقية ، (د . ط) تر : علي شاهين ، منشورات مكتبة دار الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1974 .

ثالثا – الرسائل الجامعية :

I. الدكتوراه :

1 – بن سعدي سليمان ، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد ، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ القديم ، جامعة منتوري، قسنطينة ، الجزائر ، 2008/ 2009 .

2 – سلاطنية عبد المالك ، المستوطنات الفينيقية – البونية ، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم ، جامعة منتوري، قسنطينة ، الجزائر ، (ب ، س) .

3 – عيساوي مها ،المجتمع اللوبي في المغرب القديم ، من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي ، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2009 – 2010.

4 – عيش يوسف ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي ، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ و آثار المغرب القديم ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة منتوري، قسنطينة ، الجزائر ، 2007 .

II. الماجستير والماستر:

1 – بلعيد فاطمة الزهراء ، دراسة تنميطية و ايكونوغرافية للأنصاب البونية المحفوظة بمتحف المسرح الروماني بقالمة ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الآثار ، جامعة قالمة ، الجزائر ، 2011 / 2012.

2 – بن خلفة عبد الرحمان ، الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م) ،مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم ، جامعة منتوري ، قسنطينة، الجزائر ، 2007 / 2008.

3 – العود محمد الصالح ، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية (534 – 429 م) ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2010 م .

4– قاسم محمد ، الوضعية الاجتماعية و الديموغرافية لغرب موريطانيا القيصرية من 42 م إلى سنة 284 م ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، جامعة وهران، الجزائر ، 2010.

4 – عطاء الله عبد الله زيتونة ، الأخوص حسن ، النصب النذرية النوميدية المحفوظة بمتحف سيرتا بقسنطينة دراسة إحصائية تحليلية – 30 أنموذجا ، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، الجزائر ، 2016 – 2017 .

رابعا – المجلات والمقالات:

1 – الحويلى سليمان حامد،" شعوب البحر في المصادر النصية و الأثرية ومظاهر الخلط في تمثيلهم في النقوش المصرية "، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب ، العدد 16 .

2 – عيشوش حسينة ، مقارنة بين ضريح المدغاسن و الضريح الملكي الموريطاني من خلال الأبحاث والدراسات ، (د . ط)،(د . د) ، (د . ب) ،(د. س) .

3 – غانم محمد الصغير ، الملك سيفاكس والكيان السياسي النوميدي (مجلة التراث) ، ع 9 ، مطبعة الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1997.

5 – فوكه محمد ، مناطق سهل الشلف في ظل الاحتلال الروماني ، مجلة عصور الجديدة عدد 11– 12 ، وهران ، الجزائر ، فبراير 2014 .

خامسا – المعاجم و الأطالس:

1- محجوب عبد المنعم ، معجم تانيت ، (ب ، ط) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ،(ب ، س).
2 - أطلس التاريخ القديم ، ط1 ، دار الشرق العربي ، بيروت ، 2009 .

الفهرس

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: دراسة طبيعية و بشرية لبلاد المغرب القديم	05
المبحث الاول: الدراسة الطبيعية	06
المبحث الثاني: دراسة بشرية	14
الفصل الاول: بلاد المغرب القديم ما بين القرنيين 9ق.م– 2ق.م	20
المبحث الاول: مملكة قرطاجة	21
المبحث الثاني : الممالك الوطنية	31
الفصل الثاني: بلاد المغرب من بداية الإحتلال الروماني الى ظهور الوندال	47
المبحث الأول: مقاطعة افريقيا الرومانية	48
المبحث الثاني : بلاد المغرب تحت الحكم الروماني	52
الفصل الثالث: الإحتلال الوندالي و البيزنطي لبلاد المغرب	63
المبحث الاول: الإحتلال الوندالي	64
المبحث الثاني : الإحتلال البيزنطي	76
الخاتمة	87
الملاحق	90
المصادر والمراجع	100
فهرس المحتويات	108